أشراط الساعة الكبرى

في ضوء القرآن الكريم

قدّم له فضيلة الشيخ

د. سعود بن إبراهيم الشريم

وكيل كلية الشريعة للشؤون العلمية
وإمام وخطيب المسجد الحرام

تأليف

د. فهد بن عبد العزيز الفاضل

دار طيبة للنشر والتوزيع

أشراط الساعة الكبرى
في ضوء القرآن الكريم

قدَّم له

فضيلة الشيخ / د. سعود بن إبراهيم الشريم

وكيل كلية الشريعة للشؤون العلمية
وإمام وخطيب المسجد الحرام

تأليف

د. فهد بن عبد العزيز الفاضل

دار طيبة للنشر والتوزيع

ح فهد بن عبد العزيز الفاضل، ١٤٢٥هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الفاضل، فهد بن عبد العزيز
أشراط الساعة الكبرى في ضوء القرآن الكريم. / فهد بن عبد العزيز. ــ الرياض، ١٤٢٥هـ
١٦٠ص، ٢٤سم
ردمك: ٨-٥٩٦-٤٤-٩٩٦٠

١- علامات القيامة ٢- القرآن - مباحث عامة أ. العنوان
ديوى ٢٤٣ ٨٧٥/ ١٤٢٥

رقم الإيداع: ٨٧٥/ ١٤٢٥
ردمك: ٨-٥٩٦-٤٤-٩٩٦٠

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

دار طيبة للنشر والتوزيع

الرياض - السويدي - ش. السويدي العام - غرب النفق
ص. ب ٧٦١٢ الرمز البريدي ١١٤٧٢ هاتف ٤٢٥٣٧٣٧ فاكس ٤٢٥٨٣٧٧

أشراط الساعة الكبرى
في ضوء القرآن الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله . . . . وبعد

فقد قرأتُ الكتابَ الموسومَ بـ«**أشراط الساعة الكبرى في ضوء القرآن الكريم**» والذي ألَّفه صاحبُ الفضيلة الدكتور فهد بن عبدالعزيز الفاضل، فألفيتُه كتاباً قيماً ذا تأصيل علمي ونهج سلفي مع وضوح في العبارة ودقة في النقل، وقد بيّن المؤلف من خلاله أهمية هذا الموضوع وخطورة الخوض فيه دون تثبت أو روية، وقد ردَّ على من ادَّعى أنَّ أحاديثَ أشراط الساعة يُشترط فيها التواتر، كما بيّن ما ينبغي على طالب العلم تجاه الحديث عن أشراط الساعة، وما يتطلبه هذا الأمر من فقه وسعة في الفهم واستيعاب لمدلولات الأدلة ومطارحات أهل العلم حول مفادها.

والخلاصة أنّه كتابٌ قيّمٌ في بابه، يحسن بطالب العلم الاطلاع عليه والإفادة منه. فجزى الله مؤلفه خير الجزاء، ونفع بعلمه، وجعل ما كتبه في ميزان حسناته، إنّه سميعٌ مجيبٌ.

والله الموفق

قاله وكتبه:
الدكتور سعود بن إبراهيم الشريم
وكيل كلية الشريعة للشؤون العلمية
والدراسات العليا
وإمام وخطيب المسجد الحرام

تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

المقدمة

الحمد لله المبتدئ بحمد نفسه قبل أن يحمده حامد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الرب الصمد الواحد، الحيُ القيوم الذي لا يموت، ذو الجلال والإكرام، المتكلم بالقرآن، والخالق للإنسان، والمرسل رسوله بالبيان، أرسله بكتابه المبين، الفارق بين الشك واليقين، الذي أعجزت الفصحاء معارضتُه، وأخرست البلغاء مشاكلته، فـ ﴿...لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: ٨٨][1]، والصلاة والسلام على المبعوث بالهدى والدين والسراج المبين؛ محمد بن عبدالله عليه من الله أفضل صلاة وأتم سلام، وعلى إخوانه النبيين، وأهل بيته الطاهرين، وأصحابه الغر الميامين، ومن سار على دربهم، واقتفى أثرهم إلى يوم الحساب المبين، وعنا معهم بمنة الله تعالى وعفوه وكرمه وإحسانه، وإن قصرت بنا الأعمال، وأثقلتنا السيئات والأوزار.

أما بعد:

فإن القرآن الكريم فيه العلم النافع للمتعلم، والحكم القاطع للمتحاكم، والموعظة الحسنة للمتعظ، وخبر من سبق، ومن هو لاحق ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨].

---

(١) انظر: مقدمة القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١/ ١.

قال عز من قائل تقدست أسماؤه وجل جلاله: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل: ٨٩].

قال ابن مسعود رضي الله عنه: أنزل في هذا القرآن كل علم، وكل شيء قد بين لنا في القرآن. ثم تلا هذه الآية[١].

وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: ما من شيء إلا وعلمه في القرآن، غير أن آراء الرجال تعجز عنه[٢].

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: فإن القرآن اشتمل على كل علم نافع من خبر ما سبق، وعلم ما سيأتي، وحكم كل حلال وحرام، وما الناس إليه محتاجون في أمر دنياهم ودينهم، ومعاشهم ومعادهم[٣].

وإن من المسائل التي وردت في كتاب الله عز وجل مسألة أشراط الساعة الكبرى، تحدثت عنها بعض الآيات مثبتة لحقيقتها، وداعية إلى الإيمان بها، والاستعداد لها.

ومما دعاني إلى طرق مثل هذا الموضوع ما نشاهده اليوم

---

(١) تفسير الطبري المسمى: (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) ١٤/ ١٦٢.

(٢) تفسير القرآن الكريم المسمى: (بحر العلوم) لأبي الليث السمرقندي ١/ ٢٠٤.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٤/ ٥١٣.

في عالمنا الإسلامي من كثرة الحديث عن الفتن وأشراط الساعة، وكثرة الحديث عن ذلك لا ضير فيه، بل هو مطلوب، لأنه من باب تبليغ العلم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ [البقرة: ١٥٩-١٦٠]. وفي الصحيح عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**بلغوا عني ولو آية...**»[(١)].

وفي الحديث عن الفتن وأشراط الساعة الواردة في كتاب الله عز وجل وصحيح السنة نشر لباب من أبواب العلم، ما حدث به رسول الله ﷺ ونطق إلا وهو حق واجب النشر والتحديث. لكن الضير كل الضير مما يتعلق بهذه الأشراط، ما وقع لبعض الناس من التسرع في النقل من الكتب، وتصيد الشوارد دون تمحيص بين المقبول والمردود، والصحيح والموضوع، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: إنه ليمنعني أن أحدثكم حديثًا كثيرًا أن رسول الله ﷺ قال: «**من تعمد عليَّ كذبًا فليتبوأ مقعده من النار**»[(٢)]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**كفى بالمرء كذبًا أن يحدث بكل ما سمع**».

---

(١) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل. فتح الباري ٦/ ٤٩٦.

(٢) صحيح الإمام مسلم المقدمة، باب تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ ١/ ١٠.

وعن الإمام مالك بن أنس رحمه الله قال: اعلم أنه ليس يسلم رجل حدث بكل ما سمع. ولا يكون إمامًا أبدًا، وهو يحدث بكل ما سمع[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**سيكون في آخر أمتي أناس يحدثونكم ما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم. فإياكم وإياهم**»[٢]، وباب الفتن وأشراط الساعة من الأبواب التي كثرت فيها الأحاديث الموضوعة، والنقل عن الروايات الإسرائيلية، حتى قال الإمام أحمد رحمه الله: ثلاثة علوم لا إسناد لها - وفي لفظ - ليس لها أصل: التفسير، والمغازي، والملاحم[٣].

قال الزركشي رحمه الله: قال المحققون من أصحابه: ومراده أن الغالب أنها ليس لها أسانيد صحاح متصلة، وإلا فقد صح من ذلك كثير[٤].

قال ابن حجر رحمه الله تعليقًا على كلام الإمام أحمد رحمه الله: ينبغي أن يضاف إليها الفضائل، فهذه أودية الأحاديث الضعيفة والموضوعة، إذ كانت العمدة في المغازي على مثل الواقدي،

---

(١) المرجع السابق، المقدمة، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع ١/ ١٠، ١١.
(٢) المرجع السابق، المقدمة، باب النهي عن الرواية عن الضعفاء والاحتياط في تحملها ١/ ١٢.
(٣) انظر منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية لابن تيمية ٧/ ٤٣٥.
(٤) البرهان في علوم القرآن ٢/ ١٥٦.

وفي التفسير على مثل مقاتل والكلبي، وفي الملاحم على الإسرائيليات. . .[١].

وهذا أَحَدُ من كَتَبَ في الفتن والأشراط غير الممحصين يذكر في مقدمة كتابه ما يلي: هذا نداء عاجل، وبيان إليك أخير، أفصّل فيه بعض الشيء ما أجملت ذكره في كتابي المذكور عن هرمجدون والملاحم والفتن، أعرض فيه بعض الآثار العجيبة والمثيرة التي اطلعت عليها فيما قرأته من كتب في الفترة الأخيرة.

وإنني إذ أعرضها، وأنقلها معزوة إلى مصادرها، ومنسوبة إلى قائليها، فإن العهدة تكون عليهم فيما أوردوا. ولولا أنني واثق بها ما عرضتها، إلا أن موافقتها الإجمالية لما قررناه من قبل، وموافقتها للواقع الذي نعيشه، وكذلك الكيفية التي وصلتني بها هاتيك الكتب . . .[٢].

فقد جعل الثقة بها سببًا لعرضها، ووجوب بلاغ الأمة بها، وتنزيلها على حوادث بعينها، دون رجوع إلى أقوال أئمة الحديث، وجهابذة العلماء في الحكم على هذه الأحاديث والآثار العجيبة المثيرة![٣].

---

(١) لسان الميزان ١/ ١٣.

(٢) هرمجدون آخر بيان يا أمة الإسلام لأمين محمد جمال الدين.

(٣) والكتاب المذكور كتب بصورة انفعالية ينقصها التحقيق والتثبت، ويشوبها التلفيق والتعالي، وانظر الكتاب القيم: كشف المكنون في الرد على كتاب هرمجدون لمازن بن محمد السرساوي.

والخطب الآخر الذي وقع فيه بعض من كتب في الفتن والأشراط بعد عدم التمحيص بين المقبول والمردود من الآثار والأحاديث، التسرع في تنزيل الأحاديث والآثار وما ورد فيها من الوقائع والأسماء على وقائع معاصرة، وأشخاص بأعيانهم. فقد جعلوا أصحاب الرايات السود هم حركة طالبان في أفغانستان، وجعلوا السفياني[١] هو حاكم العراق اليوم صدام حسين، إلى غير ذلك من التخرصات[٢] التي ينبغي للمسلم العاقل عدم التعجل في مثل هذه التنزيلات حتى تتضح الصورة، ويزول الشك. فتنزيل الأحاديث على الوقائع حكم، وينبغي للحاكم التريث والتثبت في حكمه حتى لا يكذب الله عز وجل ورسوله ﷺ، وينبغي أن يستأنس في حكمه بأهل العلم الراسخين.

وبالمقابل، فهناك من ينكر أشراط الساعة أو يتأولها

---

(١) قال الشيخ حمود التويجري رحمه الله: ولم يجئ في خروجه . أي السفياني . حديث صحيح يعتمد عليه. إتحاف الجماعة ١/٤٩. وانظر المباركفوري في تحقيق كتاب السنن الواردة في الفتن وغوائلها ٥/١٠٢٦. وها هي حرب العراق اليوم تنتهي بانتصار دول الكفر، ويختفي صدام حسين، وزعم المخرصون أن صدام (السفياني) ينتصر في هذه الحرب ويفشل التحالف. انظر: هرمجدون ٢٥.

(٢) انظر هرمجدون، آخر بيان يا أمة الإسلام لأمين محمد. وانظر كذلك بقلم زهير النكهة في موقع الساحات في موقع فارس نت على شبكة المعلومات العنكبوتية (الانترنت) alsaha. Fares. Net/sahat.

تأويلات سخيفة، تدل على قصوره ونزوله عن مرتبة العلم والتحقيق فيها، فقد سئل الأستاذ محمد عبده عن المسيح الدجال، وقتل عيسى له فقال: إن الدجال رمز للخرافات والدجل والقبائح التي تزول بتقرير الشريعة على وجهها والأخذ بأسرارها وحكمها[١].

ونقل الأستاذ محمد رشيد رضا عن شيخه محمد عبده أيضًا أنه تأول نزول عيسى عليه السلام وحكمه في الأرض بغلبة روحه وسر رسالته على الناس . . .[٢].

وينبغي لكل متحدث عن الفتن وأشراط الساعة بعد تمحيص الروايات المنقولة، والتثبت في تنزيلها على الواقع، ينبغي له أن

---

(١) تفسير المنار ٣/ ٢٦١. قال الشيخ عبدالرحمن الدوسري ﷾: وقد انخدع الشيخ شلتوت، بتلبيس القاديانية حول المسيح الموعود الذي ادعوه، فأفتى بأن عيسى مات موتة عادية، وأنه لم يرفع على السماء إلا روحه، وأنه لا ينزل إلى الأرض. . . صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم ٤/ ١٤١. وانظر كلام الدكتور رضاء الله المباركفوري في رده على أحمد أمين في كتاب ضحى الإسلام حيث نسف باب الملاحم. انظر مقدمة التحقيق لكتاب السنن الواردة في الفتن وغوائلها ١/ ٥٦. وانظر رد الشيخ حمود التويجري ﷾ على أبي عبية في تعليقه على النهاية لابن كثير. انظر: إتحاف الجماعة ٢/ ٢٦٢، ٢٦٢ وغيرهما.

(٢) تفسير المنار ٣/ ٢٦١. وانظر: التصريح بما تواتر في نزول المسيح ٤٨، والاتجاه العقلاني لدى المفكرين الإسلاميين المعاصرين. عرض. ونقض. وهو بحث لنيل درجة الدكتوراة، إعداد سعيد بن عيضة الزهراني. إشراف د. ناصر العقل ٢/ ٤١٣- ٤٢٨.

يحث الناس على العمل والجد وعدم الكسل، وأن لا يثبطهم بانتظار المخلص من هذا الواقع، أو بانتظار المعجزة من السماء، وكما هو ملاحظ أن الناس إذا قصّروا في العمل، ركنوا إلى أحاديث الفتن وأشراط الساعة، والرؤى والأحلام في انتظار المخلص، لتبرير قصورهم، ولراحة ضمائرهم وقلوبهم من التأنيب. وما أجدرنا إلى تأمل هذا الحديث الذي يرويه أنس ابن مالك رضي الله عنه الذي عُمِرَ حتى أدرك فتنة الحجاج يرويه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة**[١]**، فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها، فليغرسها**»[٢]. فهذا الحديث على قصر ألفاظه واضح وضوح الشمس في رابعة النهار، وفيه حث على العمل والاستمرار فيه، حتى ولو كانت القيامة تقوم، فكيف بما هو أدنى من ذلك من أشراطها وعلاماتها!.

---

(١) الفسيلة: صغار النخل، والجمع فسائل. انظر لسان العرب ٥/ ٣٤١٥.

(٢) مسند الإمام أحمد ٣/ ١٩١، والبخاري في الأدب المفرد. انظر: فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد ١/ ٥٦٣. وابن عَدي في الكامل في ضعفاء الرجال ٥/ ١٦٩٦. قال الهيثمي: رواه البزار ورجاله أثبات ثقات. ٤/ ٦٣. وصححه شعيب الأرناؤوط على شرط مسلم. انظر تحقيقه على مسند الإمام أحمد بن حنبل ٢٠/ ٢٥١.

قد حوى هذا البحث : [أشراط الساعة الكبرى في ضوء القرآن الكريم].

على مقدمة، وتمهيد، وفصلين، وخاتمة.

تحدثت في المقدمة على أهمية التثبت والتحقيق في رواية أحاديث الفتن وأشراط الساعة. مع التثبت والرجوع إلى أهل العلم في تنزيلها على الواقع، ووجوب الإيمان بما صح عن رسول الله ﷺ، والحذر كل الحذر من التأويل السخيف، أو الإنكار البغيض لها.

أما التمهيد، فقد اشتمل على التعريف بأشراط الساعة، وبعض الكتب المؤلفة فيها قديمًا وحديثًا.

الفصل الأول: حول الساعة والأشراط الكبرى لها. وشمل مبحثين:

المبحث الأول: النصوص القرآنية القاطعة بوقوع الساعة، وأنها مما اختص الله عز وجل بعلمها، وأنها تأتي بغتة.

المبحث الثاني: حول أشراط الساعة الكبرى.

الفصل الثاني: أشراط الساعة الكبرى من خلال آيات القرآن. وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: الدجال.

المبحث الثاني: نزول عيسى ابن مريم عليه السلام.

المبحث الثالث: خروج يأجوج ومأجوج.

المبحث الرابع: طلوع الشمس من مغربها.

المبحث الخامس: الدابة.

المبحث السادس: الدخان.

المبحث السابع: النار التي تسوق الناس إلى أرض المحشر.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج التي توصلت إليها.

مراجع البحث.

الفهارس: وتشمل.

١- فهرس الآيات القرآنية.

٢- فهرس الأحاديث النبوية.

٣- فهرس الأعلام.

٤- فهرس الموضوعات.

وقد سلكت في هذا البحث الإيجاز غير المخل قدر وسعي، واقتصرت في تخريج الأحاديث المذكورة في الصحيحين عليهما دون تتبعه في السنن والمسانيد، مع محاولة ذكر من حكم على الحديث إن كان في غيرهما، وفي كل شرط من أشراط الساعة أذكر الآية التي أشير إليه فيها، ثم أذكر شرح الآية وأقوال العلماء إذا كانت الآية ظاهرة الدلالة على الشرط، واجعل الشرح تحت عنوان: حول الآية. أما الآيات غير الصريحة في الدلالة فلم ألتزم بشرحها، ثم بعد الآيات أعقب بذكر مجمل ما ورد في هذا الشرط من أشراط الساعة من الأحاديث وأقوال العلماء، وأفصل بينه وبين شرح الآيات بذكر اسم الشرط من

أشراط الساعة. والله أسأل التوفيق والسداد لي ولكل من أعانني، ولكل مسلم يرجو لقاء ربه، وأن يغفر لي زللي وتقصيري، وأن ينصر الإسلام والمسلمين ويعلي راية الدين. إنه سميع مجيب. آمين.

تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

التمهيد

المبحث الأول: التعريف بأشراط الساعة

الأشراط:

قال ابن فارس رحمه الله: الشين والراء والطاء أصل يدلُّ على علم وعلامة، وما قارب ذلك من علم. من ذلك الشرط العلامة. وأشراط الساعة: علاماتها . . .[١].

وقال الخليل بن أحمد رحمه الله: ومن ذلك صار أوائل كل أمر أشراطه.

وأشراط الساعة: علاماتها، الواحد: شَرَط[٢].

وسمِّي الشُّرَط بهذا الاسم، لأنهم جعلوا لأنفسهم علامة يعرفون بها[٣].

وفي التنزيل الحكيم من كلام رب العالمين: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [محمد: ١٨] أي: فقد جاء هؤلاء الكافرين بالله الساعة وأدلتها ومقدماتها[٤].

---

(١) معجم مقاييس اللغة ٣/ ٢٦٠.
(٢) كتاب العين ٦/ ٢٣٥.
(٣) انظر تهذيب الصحاح للزنجاني٢/ ٤٥٦، ولسان العرب ٤/ ٢٢٣٦.
(٤) تفسير الطبري ٢٦/ ٥٢.

قال الزمخشري: الأشراط العلامات، قال أبو الأسود:

فإن كنت قد أزمعت بالصرم بيننا
فقد جعلت أشراط أوله تبدو[١]

وقيل: أشراط الساعة، أسبابها التي هي دون معظمها. ومنه يقال للدون من الناس: الشّرَط[٢].

الساعـــة:

تطلق في الأصل على معنيين:

أحدهما: أن تكون عبارة عن جزء من أربعة وعشرين جزءًا، هي مجموع اليوم والليلة.

والآخر: أن تكون عبارة عن جزء قليل من النهار أو الليل، يقال: جلست عندك ساعة من النهار. أي وقتًا قليلاً منه[٣].

ثم استعيرت الساعة لاسم يوم القيامة.

قال الزجاج: معنى الساعة في كل القرآن: الوقت الذي

---

(١) الكشاف ٣/ ٤٥٦.

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٢٤٠. وروى ابن الأثير عن الخطابي أن بعض أهل اللغة قال: أشراط الساعة: ما ينكره الناس من صغار أمورها قبل أن تقوم الساعة. النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/ ٤٦٠. وانظر معجم مقاييس اللغة ٣/ ٢٦١. وفي اللسان: الأشراط: الأرذال. والأشراط أيضًا: الأشراف. قال: وهذا الحرف من الأضداد. لسان العرب ٤/ ٢٢٣٦.

(٣) انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/ ٤٢٢.

تقوم فيه القيامة[١].

ويعبر بالساعة عن القيامة تشبيهًا بذلك لسرعة قيامها[٢].

والساعات التي يعبر عنها بالقيامة هي ثلاث ساعات:

١- **الساعة الكبرى**: وهي بعث الناس للحساب والجزاء.

٢- **الساعة الوسطى**: وهي موت أهل القرن الواحد.

٣- **الساعة الصغرى**: وهي موت الإنسان، فساعة كل إنسان موته[٣].

وأشراط الساعة: أي العلامات الدالة على قرب الساعة الكبرى، وهي يوم القيامة والبعث والنشور[٤].

المبحث الثاني: بعض الكتب المؤلفة في أشراط الساعة الكبرى:

المقصود بالكتب المؤلفة في أشراط الساعة الكبرى ما جمعت أكثر هذه الأشراط، ولم تكتف بنوع واحد منها، مثل: نزول عيسى بن مريم في آخر الزمان للسيوطي، أو التصريح بما تواتر في نزول المسيح لمحمد شفيع وغيرها[٥].

---

(١) انظر النهاية ٢/ ٤٢٢، ولسان العرب ٣/ ٢١٥١.
(٢) انظر بصائر ذوي التمييز ٣/ ٢٧٦.
(٣) انظر مفردات ألفاظ القرآن ٤٣٤، وبصائر ذوي التمييز ٣/ ٢٧٦.
(٤) انظر لوامع الأنوار البهية ٢/ ٦٥.
(٥) وهما من مراجع هذا البحث.

ومن أشهر هذه الكتب في أشراط الساعة الكبرى ما يلي[١]:

١- كتاب الفتن، للحافظ نعيم بن حماد المروزي (ت٢٢٨)[٢].

٢- الفتن، للحافظ أبي علي حنبل بن إسحاق بن حنبل الشيباني (ت٢٧٣)[٣].

٣- كتاب الملاحم، للحافظ أبي الحسين أحمد بن جعفر ابن المنادي (ت٣٣٦)[٤].

٤- كتاب الفتن، للحافظ محمد بن الحسين الآجري (ت٣٦٠)[٥].

٥- الفتن، لأبي محمد عبدالله بن جعفر بن حيان

---

(١) استفدت كثيرًا من محقق كتاب السنن الواردة، المباركفوري ١/٢٨-٣٢.

(٢) قال الذهبي رحمه الله: لا يجوز لأحد أن يحتج به، وقد صنف كتاب (الفتن) فأتى فيه بعجائب ومناكير. سير أعلام النبلاء ١٠/٦٠٩. وكتاب الفتن لنعيم طبع طبعة تجارية في المكتبة التجارية بمكة. ويوجد منه نسخ مخطوطة انظر. تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين ١/١/١٩٧، ويوجد في المكتبة السعودية تحت رقم ٨٤٥/٨٦.

(٣) مطبوع تحقيق د. عامر حسن صبري، الناشر دار البشائر الإسلامية ببيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

(٤) ذكر هذا الكتاب القرطبي في التذكرة ٦٩٤. وساق له خبرًا طويلاً عن السفياني. قال القرطبي: وذكر أشياء كثيرة الله أعلم بصحتها، أخذها من كتاب دانيال فيما زعم. التذكرة ٦٩٥.

(٥) ذكر هذا الكتاب في كتابه الشريعة ٤٤.

المعروف بأبي الشيخ (ت٣٦٩)[١].

٦- السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها، للحافظ أبي عمرو عثمان بن سعيد المقرئ الداني(ت٤٤٤)[٢].

٧- النهاية في الفتن والملاحم، للحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير (ت٧٧٤)[٣].

٨- القناعة فيما يحسن الإحاطة من أشراط الساعة، للحافظ شمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوي (ت٩٠٢)[٤].

٩- الإشاعة لأشراط الساعة، لمحمد بن رسول البرزنجي الحسيني (ت١١٠٣هـ)[٥].

١٠- أهوال يوم القيامة وعلاماتها الكبرى، للشيخ محمد

---

(١) ذكره السيوطي في اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ١/ ٤٦٨.

(٢) تحقيق: د. رضاء الله المباركفوري، نشر دار العاصمة بالرياض، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

(٣) وهو ضمن كتابه البداية والنهاية وكان في الجزء التاسع عشر والعشرين. تحقيق: د. عبدالله التركي نشر دار هجر بمصر.

(٤) تحقيق د. محمد بن عبدالوهاب العقيل، نشر مكتبة أضواء السلف بالمدينة، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

(٥) مطبوع بتعليق محمد زكريا الكاندهلوي، نشر دار المنهاج ببيروت، الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ.

ابن أحمد السفاريني (ت١١٨٨)[١].

١١- المسيح الدجال وأسرار الساعة، للشيخ محمد بن أحمد السفاريني (ت١١٨٨)[٢].

١٢- التوضيح فيما تواتر في المنتظر والدجال والمسيح لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت١٢٥٠)[٣].

١٣- الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة. لمحمد صديق حسن القنوجي (ت١٣٧٠هـ)[٤].

ومن المؤلفين المعاصرين في أشراط الساعة الكبرى ما يلي:

١- مجموع أخبار آخر الزمان وأشراط الساعة لعبد الله بن سليمان المشعلي[٥].

٢- مختصر الأخبار المشاعة في الفتن وأشراط الساعة لعبد الله ابن سليمان المشعلي[٦].

٣- اليوم الآخر - القيامة الصغرى - للدكتور عمر بن سليمان

---

(١) طبعة تجارية لمؤسسة الكتب الثقافية ببيروت الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.

(٢) طبعة تجارية كسابقتها لدار الجيل ببيروت، ومكتبة التراث الإسلامي بالقاهرة، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ.

(٣) انظر فتح القدير ١/ ٥٣٦. فقد ذكر فيه تأليفه لهذا الكتاب.

(٤) مطبوع، كتب حواشيه إبراهيم يحيى أحمد، نشر دار المدني بجده، عام ١٤٠٦هـ.

(٥) طبع بمطابع المنار بالقصيم، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

(٦) طبع بمطابع الرياض الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

الأشقر[١].

٤- الصحيح المسند من أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة لمصطفى العدوي[٢].

٥- صحيح أشراط الساعة ووصف ليوم البعث وأهوال يوم القيامة، لمصطفى أبو النصر الشلبي[٣].

٦- علامات الساعة الصغرى والكبرى، لليلى مبروك[٤].

٧- لمعة البيان في أحداث آخر الزمان وأشراط الساعة الصغرى والكبرى، لعلي على محمد[٥].

٨- أشراط الساعة الكبرى، لسعود بن حمد الصقري[٦].

٩- أشراط الساعة، ليوسف بن عبدالله الوابل[٧].

---

(١) نشر دار النفائس بالأردن، الطبعة السابعة ١٤١٨هـ.

(٢) نشر دار الهجرة الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

(٣) نشر مكتبة السوادي بجدة، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ.

(٤) نشر المختار الإسلامي.

(٥) نشر دار الإسراء بعمان، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

(٦) وهو بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية أصول الدين، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، إشراف الشيخ زيد بن فياض، عام ١٤٠٥، رقم التصنيف في مكتبة الجامعة ٢١٤,٣١ ص س م.

(٧) نشر دار ابن الجوزي بالدمام، الطبعة الرابعة عشر، عام ١٤٢١هـ. وأصله رسالة علمية مقدمة لقسم العقيدة بجامعة أم القرى بمكة.

١٠- المسيح المنتظر ونهاية العالم، لعبدالوهاب عبدالسلام طويلة[١].

(١) نشر دار السلام بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

الفصل الأول

حول الساعة والأشراط الكبرى لها

المبحث الأول: النصوص القرآنية القاطعة بوقوع الساعة، وأنها مما اختص الله عز وجل بعلمها، وأنها تأتي بغتة.

١- بعض النصوص القرآنية الدالة على وقوع الساعة:

أ - قال الله عز في علاه: ﴿وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥].

قال ابن جرير رحمه الله: وإن الساعة، وهي الساعة التي تقوم فيها القيامة لجائية، فارض بها لمشركي قومك الذين كذبوك . . .[(١)].

ب - قال الله جل جلاله: ﴿لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ﴾ [الكهف: ٢١].

جـ - قال الباري سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾﴾ [طه: ١٥][(٢)].

---

(١) تفسير الطبري ١٤/ ٥١.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله: أي: قائمة لا محالة، وكائنة لابد منها. ونقل عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾، قال: لا أطلع عليها أحدًا غيري. تفسير القرآن العظيم ٥/ ٢٧٢.

د - قال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾﴾ [الحج: ٧].

هـ - قال الله جل جلاله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ [سبأ: ٣](١).

و - قال الله جل جلاله وتقدست أسماؤه: ﴿...أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ [الشورى: ١٨](٢).

٢- بعض النصوص القرآنية الدالية على اختصاص الله جل جلاله بعلم وقت الساعة:

أ - قال الله عز وجل: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [الأعراف: ١٨٧](٣).

---

(١) قال القرطبي رحمه الله: فهؤلاء الكفار مقرون بالابتداء منكرون الإعادة، وهو نقض لما اعترفوا بالقدرة على البعث، وقالوا: وإن قدر لا يفعل. فهذا تحكم بعد أن أخبر على ألسنة الرسل أنه يبعث الخلق، وإذا ورد الخبر بشيء وهو ممكن في الفعل مقدور، فتكذيب من وجب صدقه محال. الجامع لأحكام القرآن ١٤/ ٢٦٠.

(٢) قال ابن جرير رحمه الله: ألا إن الذين يخاصمون في قيام الساعة ويجادلون فيه ﴿لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ يقول: لفي جور عن طريق الهدى، وزيغ عن سبيل الحق والرشاد، بعيد عن الصواب. تفسير الطبري ٢٥/ ٢٠.

(٣) قوله: ﴿أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ أي: متى قيامها؟ انظر: تفسير الطبري ١٣/ ٢٩٣.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: أمر تعالى نبيه ﷺ إذا سئل عن وقت الساعة، أن يرد علمها إلى الله تعالى؛ فإنه هو الذي يجليها لوقتها، أي: يعلم جلية أمرها، ومتى يكون على التحديد، لا يعلم ذلك إلا هو تعالى[(١)].

ب - قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤].

جـ - قال الملك القدوس سبحانه: ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٦٣].

د - قال الله جل في علاه: ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [فصلت: ٤٧][(٢)].

هـ - قال الله جل جلاله: ﴿...وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [الزخرف: ٨٥].

٣- بعض النصوص القرآنية الدالة على مجيء الساعة بغتة:

أ - قال الباري سبحانه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ﴾ [الأنعام: ٣١].

قال ابن عطية رَحِمَهُ اللَّهُ: بغتة: معناه فجأة، تقول بغتني الأمر أي فجأني[(٣)].

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٣/ ٥٢٠.

(٢) قال البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: أي علمها إذا سئل عنها مردود إليه، لا يعلمه غيره. معالم التنزيل ٤/ ١١٧.

(٣) المحرر الوجيز ٦/ ٣٥.

ب - قال عز من قائل: ﴿أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأۡتِيَهُمۡ غَٰشِيَةٞ مِّنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوۡ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٠٧﴾ [يُوسُف: ١٠٧].

جـ - قال الله جل في علاه: ﴿وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُۚ﴾ [النّحل: ٧٧].

قال القاسمي رَحِمَهُ اللَّهُ: الساعة: الوقت الذي تقوم فيه القيامة. واللمح: النظر بسرعة. أي كرجع الطرف من أعلى الحدقة إلى أسفلها (أوهو أقرب) من ذلك، أي أسرع زمانًا، بأن يقع في بعض من زمانه. وفيه من كمال تقرير قدرته تعالى ما لا يخفى[1].

د - قال الله جل جلاله: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةً﴾ [الحَجّ: ٥٥][2].

هـ - قال الله أصدق القائلين ورب السموات والأرضين: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ٦٦﴾ [الزّخرُف: ٦٦].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: هل ينتظر هؤلاء المشركون المكذبون للرسل (إلا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون؟ أي: فإنها

---

(١) محاسن التأويل ١٠/ ١٤٠.

(٢) والمرية: التردد في الأمر، وهو أخص من الشك. مفردات ألفاظ القرآن ٧٦٦.

كائنة لا محالة وواقعة، وهؤلاء غافلون عنها غير مستعدين، فإذا جاءت إنما تجيء وهم لا يشعرون بها، فحينئذ يندمون كل الندم، حيث لا ينفعهم ولا يدفع عنهم[١].

فهذه نصوص قرآنية قاطعة بإثبات وقوع الساعة، وأنها تأتي بغتة، وأن علمها عند الله، وهي مما اختص الله بعلمها، وفي هذا رد على المتخرصين والمنجمين الذين يزعمون معرفة وقت الساعة، ويا ليت أن الأعمار التي تصرف فيما لا طائل في معرفته، صرفت فيما يعود على الإنسان بالخير والنفع.

رزقنا الله الفقه في الدين واتباع سنة سيد المرسلين، والبعد عن دروب المتخرصين، ووفقنا لاغتنام الأعمار بصالح الأعمال.

(١) تفسير القرآن العظيم ٧/ ٢٢٤.

المبحث الثاني

حول أشراط الساعة الكبرى

١- أقسام أشراط الساعة من حيث الظهور:

يقسم العلماء أشراط الساعة عامة من حيث الظهور إلى ثلاثة أقسام، هي:

أ - قسم ظهر وانقضى، وهي الأمارات البعيدة، مثل بعثة النبي ﷺ[(١)]، وانشقاق القمر[(٢)] .... إلخ[(٣)].

ب - قسم ظهر ولم ينقض بل لا يزال في زيادة، مثل رفع العلم، وكثرة الجهل، وانتشار الزنا، وشرب الخمر ... إلخ[(٤)].

---

(١) انظر حديث سهل بن سعد ﷺ قال: (رأيت رسول الله ﷺ قال بإصبعيه هكذا بالوسطى والتي تلي الإبهام: بعثت والساعة كهاتين) صحيح البخاري. كتاب التفسير، باب سورة النازعات، فتح الباري ٨/ ٦٩١. وصحيح مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قرب الساعة ٤/ ٢٢٦٨.

(٢) انظر حديث أنس بن مالك ﷺ قال: (سأل أهل مكة أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر) صحيح البخاري كتاب التفسير باب (وانشق القمر، وإن يروا آية يعرضوا) بفتح الباري ٨/ ٦١٧، وانظر الدر المنثور ٧/ ٦٧٠.

(٣) انظر لوامع الأنوار البهية ٢/ ٦٦، ٦٧.

(٤) انظر حديث أنس بن مالك ﷺ قال: (سمعت من رسول الله ﷺ حديثًا لا يحدثكم به غيري، قال: من أشراط الساعة أن يظهر الجهل، ويقل العلم، =

جـ - قسم لم يظهر، وهي الأمارات القريبة التي تعقبها قيام الساعة، مثل أشراط الساعة الكبرى[١].

٢- أنواع أشراط الساعة:

وهي نوعان، هما:

١- أشراط صغرى: وهي التي تتقدم قيام الساعة بأزمان بعيدة متطاولة وتكون في أصلها معتادة الوقوع. مثل: قبض العلم، وظهور الجهل ... إلخ[٢].

٢- أشراط كبرى: وهي التي تقارب قيام الساعة، وتكون في ذاتها غير معتادة الوقوع. مثل: خروج الدجال، ويأجوج ومأجوج، ونزول عيسى عليه السلام ... إلخ[٣].

وهذه الأشراط الكبرى هي التي تتعلق بهذا البحث، ويجمعها حديث رسول الله ﷺ الذي يرويه عنه حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال: اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر. فقال: (ما تذاكرون) قالوا: نذكر الساعة. قال: (إنها لن تقوم حتى

= ويظهر الزنا، وتشرب الخمر، ويقل الرجال... إلخ) صحيح البخاري كتاب الأشربة، باب قول الله تعالى ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ...﴾ فتح الباري ١٠/ ٣٠.

(١) انظر لوامع الأنوار البهية ٢/ ٧٠، وصحيح أشراط الساعة ٢٢.

(٢) انظر التصريح بما تواتر في نزول المسيح لمحمد شفيع ٩، صحيح أشراط الساعة ٢٢.

(٣) انظر لوامع الأنوار البهية ٢/ ٦٦، ٦٧.

ترون قبلها عشر آيات، فذكر الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم ﷺ، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب. آخر ذلك نار تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم)[١].

وهذا الحديث أصل في أشراط الساعة الكبرى، واختلف العلماء رحمهم الله في ترتيب هذه الآيات العشر مع أن حديث النواس بن سمعان ﷺ الطويل في صحيح مسلم رتب خروج الدجال. ثم نزول عيسى ابن مريم عليه السلام، ثم خروج يأجوج ومأجوج[٢].

وقد جمع الحافظ ابن كثير ﷺ بين خروج هذه الآيات الثلاث قبل وبين حديث عبد الله بن عمرو ﷺ قال: حفظت من رسول الله ﷺ حديثًا لم أنسه بعد سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن أول الآيات خروجًا، طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحىً. وأيهما كانت قبل صاحبتها، فالأخرى على أثرها قريبًا»**[٣].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة ٤/ ٢٢٢٥.

(٢) انظر: صحيح مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال ٤/ ٢٢٥٠.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في خروج الدجال... ٤/ ٢٢٦٠.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: أي أوَل الآيات التي ليست مألوفة، وإن كان الدجال، ونزول عيسى، عليه السلام، من السماء قبل ذلك، وكذلك خروج يأجوج ومأجوج، فكل ذلك أمور مألوفة، لأنهم بشر، مشاهدتهم وأمثالهم معروفة مألوفة، فأما خروج الدابة على شكل غير مألوف، ومخاطبتها الناس، ووسمها إياهم بالإيمان والكفر، فأمر خارج عن مجاري العادات، وذلك أول الآيات الأرضية، كما أن طلوع الشمس من مغربها أول الآيات السماوية، فإنها تطلع على خلاف عادتها المألوفة. والله سبحانه أعلم[١].

والجمع بين حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ السابق، وفيه: «**آخر ذلك نار تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم**». وبين حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في أسئلة عبدالله بن سلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للنبي ﷺ وفيه: «**أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب**»[٢] فهذه النار واحدة، وهي آخر الأشراط مما يتعلق بأمور الدنيا، وهي أول الأشراط المؤذنة بقيام الساعة، فالساعة وأهوالها تعقب هذه النار التي تخرج من اليمن[٣].

فعلى ذلك يكون ترتيب هذه الأشراط كالتالي:

---

(١) البداية والنهاية ١٩/ ٢٥٤.

(٢) صحيح البخاري كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذريته. فتح الباري ٦/ ٣٦٢.

(٣) انظر فتح الباري ١١/ ٣٥٣.

أولاً : الدجال، والثاني: نزول عيسى ابن مريم، والثالث: خروج يأجوج ومأجوج، والرابع: طلوع الشمس من مغربها، وإذا طلعت أغلق باب التوبة، الخامس: الدابة التي تسم الناس بالإيمان أو الكفر. السادس: الدخان الذي يزكم المؤمن، وينفخ الكافر. وآخر هذه الأشراط العشر: النار التي تخرج من اليمن تحشر الناس. أما الخسوف الثلاثة فلم أتمكن من معرفة مكانها في هذا الترتيب هل هي في الأول أو في الآخر، أو بين ذلك والله أعلم[1].

قال ابن حجر رحمه الله: فالذي يترجح من مجموع الأخبار أن خروج الدجال أول الآيات العظام المؤذنة بتغير الأحوال العامة في معظم الأرض، وينتهي ذلك بموت عيسى ابن مريم، وأن طلوع الشمس من المغرب هو أول الآيات العظام المؤذنة بتغير أحوال العالم العلوي، وينتهي ذلك بقيام الساعة، ولعل خروج الدابة يقع في ذلك اليوم الذي تطلع فيه الشمس من المغرب...[2].

---

(١) انظر أقوال العلماء في ترتيب هذه الأشراط عند القرطبي في التذكرة ٧٩٥، والبرزنجي في الإشاعة لأشراط الساعة ٣٤٩، ٣٥٠، والسفاريني في لوامع الأنوار البهية ٢/ ١٤٢، ومحمد صديق في الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة ١٣٧، ١٣٨. ولم أعلم - حسب علمي القاصر - إلى أحد أشار إلى آية تشير إلى هذه الخسوف الثلاثة. والله أعلم.

(٢) فتح الباري ١١/ ٣٥٣.

الفصل الثاني

أشراط الساعة الكبرى من خلال آيات القرآن

المبحث الأول

الـــدجال

الآيات التي أشير إليه فيها هي:

١- وردت الإشارة إليه في قوله عز وجل: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأنعام: ١٥٨].

لما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ثلاث إذا خرجن، لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض»**[1].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان ١/ ١٣٨. وأخرجه الترمذي بلفظ: (ثلاث إذا خرجن ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾ الآية. الدجال والدابة وطلوع الشمس من المغرب أو من مغربها). قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الأنعام ٥/ ٢٦٤.

حول الآية:

لما قامت الحجة على المكذبين بإرسال الرسول ﷺ وإنزال الكتاب المبين ومع ذلك لم يؤمنوا ولم يرجعوا عن غوايتهم فما بقي بعد هذا إلا أنهم ينظرون ﴿أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [النحل: ٣٣][(١)].

قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، أي هل ينتظر هؤلاء العادلون بربهم الأوثان والأصنام إلا أن تأتيهم الملائكة، بالموت فتقبض أرواحهم[(٢)]. وهل استفهام معناه النفي، أي أنهم لا يؤمنون بك إلا إذا جاءهم أحد هذه الأمور الثلاثة المذكورة في الآية[(٣)]. وقرأ حمزة والكسائي ﴿يأتيهم﴾، وقرأ الباقون بالتاء ﴿تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾[(٤)].

قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، ومثله قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ [البقرة: ٢١٠]، وقوله عز وجل: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر: ٢١-٢٢].

---

(١) انظر: التفسير الكبير للرازي ١٤/ ٦، والجامع لأحكام القرآن ٧/ ١٤٤، وفتح القدير ٢/ ١٨١.

(٢) انظر تفسير الطبري ١٢/ ٢٤٥.

(٣) انظر التفسير الكبير ١٤/ ٦، وهذه الأمور الثلاثة هي: مجيء الملائكة، أو مجيء الرب، أو مجيء بعض آيات الرب.

(٤) انظر: كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد ٢٧٣، ٢٧٤.

ومجيء الرب وإتيانه عز وجل يوم القيامة لفصل القضاء بين الخلائق، على ما يليق بجلاله سبحانه، وكما يشاء جل وعلا، وهذه من أفعاله الاختيارية[١] قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، وذلك قبل يوم القيامة، وهو من أمارات الساعة وأشراطها الكبرى، وهو طلوع الشمس من مغربها، والدجال، والدابة[٢].

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]

قال ابن عطية رحمه الله: وقال جمهور أهل التأويل - كما تقدم - الآية التي لا تنفع التوبة من الشرك أو من المعاصي بعدها، هي طلوع الشمس من المغرب[٣].

وقد ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون، وذلك حين لا ينفع نفسًا إيمانها. ثم قرأ الآية**»[٤].

---

(١) انظر إبطال التأويل لأخبار الصفات للفراء ١/ ٢٦٨، والأربعين في صفات رب العالمين للذهبي ١/ ١٣٣، وشرح العقيدة الواسطية لمحمد خليل ٦٣، ٦٤، والمفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات للمغراوي ١/ ٣٨١.

(٢) انظر زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٣/ ١٥٦، ١٥٧، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ٣٦٦.

(٣) المحرر الوجيز ٦/ ١٨٨.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب. انظر فتح الباري ٨/ ٢٩٧، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان ١/ ١٣٧.

وزاد الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ في الحديث الذي سبق الدجال ودابة الأرض[١].

لكن يشكل على حديث الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ أن الدجال يكون بعده عيسى ابن مريم عليه السلام وفي زمنه يؤمن الناس[٢]، فلو كان الإيمان لا ينفع بعد خروج الدجال لما نفع من آمن زمن عيسى عليه السلام[٣]، وقد ساق ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ احتمالين لهذا الإشكال، أولاهما: أن حصول هذه الآيات يكون متتابعًا بحيث تبقى النسبة إلى الأول منها مجازية. واستبعد هذا الاحتمال رَحِمَهُ اللَّهُ.

الثاني: أنه إذا خرج الدجال لا ينفع إيمان من آمن بعيسى عليه السلام عند مشاهدة الدجال، وينفعه بعد انقراض وموت الدجال[٤].

والذي يظهر لي - والله أعلم - أن ذكر لفظة الدجال في رواية الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ ذكر الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ بدلها الدخان[٥]،

---

(١) انظر ص ٣٨.

(٢) انظر حديث النواس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في صحيح مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب الدجال ٤/ ٢٢٥٠ . ٢٢٥٥.

(٣) انظر فتح الباري ١١/ ٣٥٣، ٣٥٤.

(٤) انظر فتح الباري ١١/ ٣٥٣، ٣٥٤، وانظر الصحيح المسند من أحاديث الفتن والملاحم للعدوي ٥٥٢.

(٥) عن أبي حازم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (ثلاث إذا خرجن لم ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل، أو كسبت في إيمانها خيرا: طلوع الشمس من مغربها، والدخان، ودابة الأرض). مسند الإمام أحمد ١٥/ ٤٦٨ حديث ٩٧٥٢. وانظر فتح الباري ١١/ ٣٥٣، واللفظان متقاربان في الكتابة (الدجال، الدخان) خاصة عند عدم النقط.

وبذكر الدخان بدل الدجال يستقيم المعنى ويزول الإشكال لتقارب الدابة وطلوع الشمس من مغربها، والدخان من بعضها، ولظهور حقيقة الإيمان والكفر على كل إنسان ظهورًا واضحًا جليًا، عندها لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل[١].

قال ابن كثير: فقوله: ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، أي إذا أنشأ الكافر إيمانًا يومئذ لا يقبل منه، فأما من كان مؤمنًا قبل ذلك، فإن كان مصلحًا في عمله فهو بخير عظيم، وإن كان مخلطا فأحدث توبة حينئذ لم تقبل منه توبته، كما دلت عليه الأحاديث المتقدمة، وعليه يحمل قوله تعالى: ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]، أي: ولا يقبل منها كسب عمل صالح إذا لم يكن عاملاً به قبل ذلك[٢].

قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، تهديد ووعيد للمكذبين ﴿قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾، أي المسلمون ينتظرون نصر الله ونزول العقاب بالمكذبين[٣].

٢- أخرج الإمام أحمد رحمه الله في المسند عن أبي بن كعب رضي الله عنه أنه قال في هذه الآية: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾ [السجدة: ٢١] قال: مصيبات الدنيا الروم،

---

(١) انظر فتح الباري ١١/ ٣٥٣، ٣٥٤.
(٢) تفسير القرآن العظيم ٣/ ٣٧١.
(٣) انظر زاد المسير في علم التفسير ٣/ ١٥٨، وتفسير التحرير والتنوير ٨/ ١٩١.

والبطشة أو الدخان، قال: ثم انقطع شيء، فقال هو الدجال[١].

وأخرج الإمام مسلم رحمه الله هذا الأثر إلى قوله: أو الدخان. ولم يذكر الدجال[٢].

وذكره السيوطي في الدر المنثور ولم يذكر الدجال[٣].

قال الطبري: وأولى الأقوال في ذلك أن يقال: إن الله وعد هؤلاء الفسقة المكذبين بوعيده في الدنيا العذاب الأدنى، أن يذيقهموه دون العذاب الأكبر، والعذاب: هو ما كان في الدنيا من بلاء أصابهم، إما شدة من مجاعة، أو قتل، أو مصائب يصابون بها، فكل ذلك من العذاب الأدنى، ولم يخصص الله تعالى ذكره، إذ وعدهم ذلك أن يعذبهم بنوع من ذلك دون نوع، وقد عذبهم بكل ذلك في الدنيا بالقتل والجوع، والشدائد، والمصائب في الأموال، فأوفى لهم بما وعدهم[٤].

٣- ذكر أبو العالية[٥] رحمه الله أن المقصود بالناس في قوله

---

(١) مسند الإمام أحمد ٤/ ٤٢٨.

(٢) صحيح مسلم كتاب صفات المنافقين، باب الدخان ٤/ ٢١٥٧.

(٣) وعزاه إلى غير من ذكر، أبي عوانة في صحيحه، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، والبيهقي في شعب الإيمان. انظر الدر المنثور ٦/ ٥٥٤.

(٤) تفسير الطبري ٢١/ ١١٠.

(٥) رُفَيع بن مهران الرياحي البصري، أحد الأعلام، كان مولى لامرأة من بني رياح، أدرك زمان النبي ﷺ وهو شاب، وأسلم في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه. توفي سنة ثلاث وتسعين.
انظر: التاريخ الكبير للبخاري ٣/ ٣٢٦، وسير أعلام النبلاء للذهبي ٤/ ٢٠٧.

تعالى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧] أنه الدجال[١].

والأقرب - والله أعلم - أن الناس المقصود بهم عموم البشر لا خصوص الدجال وهو واحد منهم[٢].

ويرجح ذلك أن هذا التفسير لم يرد عن أحد من السلف غيره[٣]، وهذه الآية لإثبات البعث الذي أخبرت به الرسل عليهم السلام وفيها دليل عقلي قاطع على ذلك، فالذي خلق السموات والأرض على عظمهما وسعتهما قادر على إعادة الناس بعد الموت من باب أولى وأحرى[٤].

٤- ذكر ابن حجر رحمه الله، في معرض جوابه على السؤال عن الحكمة في عدم التصريح بذكر الدجال في القرآن ... قال: وأجيب بأجوبة ... إلى أن قال: الثاني قد وقعت الإشارة في القرآن إلى نزول عيسى ابن مريم في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [النساء: ١٥٩] وفي قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ [الزخرف: ٦١] وصح أنه الذي يقتل

---

(١) انظر تفسير البغوي ٤/ ١٠١، الجامع لأحكام القرآن ١٥/ ٣٢٥، الدر المنثور ٧/ ٢٩٤.

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ٧/ ١٤١.

(٣) انظر تفسير الطبري ٢٤/ ٧٧.

(٤) انظر تيسير الكريم الرحمن ٦/ ٥٣٩، انظر أضواء البيان ٧/ ٩٥.

الدجال[١]، فاكتفى بذكر أحد الضدين عن الآخر...[٢].

التعريف بالدجال:

الدجال: كثير الكذب والتلبيس، وأصل الدجل: الخلط. يقال: دجّل إذا لبس وموه[٣].

قال ابن فارس رحمه الله: الدال والجيم واللام أصل واحد منقاس، يدل على التغطية والستر. قال أهل اللغة: الدَّجْل: تمويه الشيء، وسمي الكذاب دجالا[٤].

والدجال هو المسيح الكذاب، وإنما دجلُه سِحره وكذبه[٥].

وهو رجل من بني آدم يكون في آخر الزمان[٦]، وخروجه من أشراط الساعة الكبرى[٧]، قال ابن كثير رحمه الله: وقد أنكرت

---

(١) انظر صحيح مسلم كتاب الفتن باب ذكر الدجال ٤/ ٢٢٥٠ حديث ٢٩٣٧.

(٢) فتح الباري ١٣/ ٩١، ٩٢. وانظر البداية والنهاية ١٩/ ١٩٦.

(٣) انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/ ١٠٢.

(٤) معجم مقاييس اللغة ٢/ ٣٢٩.

(٥) لسان العرب ٢/ ١٣٣٠.

(٦) انظر صحيح مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال، وصفته وما معه، حديث رقم ٢٩٣٧، صحيح مسلم ٤/ ٢٢٥٠. والبداية والنهاية ١٩/ ٢٠٣.

(٧) انظر صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب الآيات التي تكون قبل الساعة، حديث ٢٩٠١، ٤/ ٢٢٢٥، اختلف العلماء في ابن صياد الذي كان في عهد النبي ﷺ هل هو الدجال أوغيره. والأقرب. والله أعلم. أنه غير الدجال قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: إن أمر ابن صياد قد أشكل على بعض الصحابة فظنوه الدجال، وتوقف فيه النبي ﷺ حتى تبين له فيما بعد أنه ليس هو الدجال، إنما هو من جنس الكهان من أصحاب الأحوال الشيطانية. الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ٧٧ .

طوائف كثيرة من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة خروج الدجال بالكلية، وردوا الأحاديث الواردة فيه، فلم يصنعوا شيئًا، وخرجوا بذلك عن حيز العلماء، لردهم ما تواترت به الأخبار الصحيحة من غير وجه عن رسول الله ﷺ . . .[(١)].

ولقد أنذر كل نبي من الأنبياء عليهم السلام أمته من فتنته فعن أنس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**ما بُعث نبي إلا أنذر أمته الأعور الكذاب. . .**»[(٢)].

صفة الدجال: ومن صفاته الخلقية أنه أعور العين اليمنى، كأن عينه عنبة طافية[(٣)]. وفي رواية: (الدجال ممسوح العين)[(٤)].

قال ابن حجر رحمه الله: والذي يتحصل من مجموع الأخبار أن الصواب في طافية أنه بغير همز فإنها قيدت في رواية الباب بأنها اليمنى، . . . - إلى أن قال -: عينه اليسرى ممسوحة، والطافية هي: البارزة وهي غير الممسوحة[(٥)].

= وقال ابن كثير رحمه الله: وسنورد من الأحاديث ما يدل على أن الدجال ليس بابن صياد. والله سبحانه أعلم... البداية والنهاية ١٩/ ١٣٩.

(١) البداية والنهاية ١٩/ ١٩٣.

(٢) صحيح البخاري كتاب الفتن، باب ذكر الدجال. انظر فتح الباري ١٣/ ٩١.

(٣) انظر صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب ذكر الدجال. فتح الباري ١٣/ ٩٠.

(٤) انظر صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال، وصفته، حديث ٢٩٣٣. ٤/ ٢٢٤٨.

(٥) فتح الباري ١٣/ ٩٨. ونقل ابن حجر عن القاضي عياض أنه قال: فإن الأعور من كل شيء المعيب، وكلا عيني الدجال معيبة، فإحداهما معيبة بذهاب ضوئها حتى ذهب إدراكها، والأخرى بنتوئها. فتح الباري ١٣/ ٩٧.

ومن صفته أنه مكتوب على جبهته بين عينيه (كافر) يقرؤها كل مؤمن قارئًا كان أم غير قارئ[١].

ومن صفته أنه رجل سمين قصير أفحج[٢]، جعد الشعر[٣]، أحمر الجلد.

وفي الحديث: «**ثم ذهبتُ ألتفتُ، فإذا رجل جسيم[٤] أحمر[٥] جعد الرأس أعور العين...**»[٦].

---

(١) انظر صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته، حديث ٢٩٣٤، ٤/ ٢٢٤٩.

(٢) الفحج: تباعد ما بين الفخذين. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/ ٤١٥.

(٣) جعد الشعر: خلاف السَّبط، أي خلاف المسترسل من الشعر. انظر لسان العرب ١/ ٦٣١.

(٤) جسيم: أي ضخم الجُثة، وقد جَسُم الشيء أي عَظُم. انظر لسان العرب ١/ ٦٢٤.

(٥) في مسند الإمام أحمد رحمه الله مرفوعًا: (وإنه آدم جعد أعور) مسند الإمام أحمد ٥/ ٤٣٤. والأدم في الناس، الأسمر. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ١/ ٣٢. قال ابن حجر رحمه الله في الجمع بين صفتي الدجال الحمرة والسمرة: فيمكن أن تكون أدمته صافية، ولا ينافي أن يوصف مع ذلك بالحمرة لأن كثيرًا من الأدم قد تحمر وجنته. فتح الباري ١٣/ ٩٧. قلت لعلها حمرة قبيحة تميل إلى السواد، أو لعله يتلون بين السواد والبياض والحمرة. وفي مسند الإمام أحمد رحمه الله من صفة الدجال: (هجان أزهر) مسند الإمام أحمد ١/ ٢٤٠. والهجان الأبيض. انظر النهاية ٥/ ٢٤٨، والأزهر: الأبيض المستنير. انظر النهاية ٢/ ٣٢١.

(٦) صحيح البخاري كتاب الفتن، باب ذكر الدجال. انظر فتح الباري ١٣/ ٩٠.

وفي سنن أبي داود رحمه الله: «. . . **إن مسيح الدجال رجل قصير أفحج جعد، أعور مطموس العين. . .**»[١].

من أين يخرج: والدجال يخرج من قبل المشرق[٢]، وفي حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه عند الإمام أحمد في المسند حدد المدينة التي يخرج منها فقال: «**حدثنا رسول الله ﷺ أن الدجال يخرج من أرض بالمشرق، يقال لها: خراسان، يتبعه أقوام كأن وجوههم المجان المطرقة**»[٣].

وفي صحيح مسلم عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة، - وفيه -: «**إنه خارج خلة**[٤] **بين الشام والعراق**»[٥].

والجمع بين حديث مسند الإمام أحمد وصحيح مسلم: أن الدجال يخرج من المشرق من خراسان، ويظهر أمره للمسلمين

---

(١) سنن أبي داود، كتاب الملاحم، باب خروج الدجال ٤/ ٤٩٦.

(٢) انظر صحيح مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قصة الجساسة ٤/ ٢٢٦٤، قال ابن حجر رحمه الله: وأما من أين يخرج؟ فمن قبل المشرق جزمًا. فتح الباري ١٣/ ٩١.

(٣) مسند الإمام أحمد ١/ ٤. وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر رحمه الله، شرح مسند الإمام أحمد ١/ ١٣، وانظر صحيح سنن ابن ماجة للألباني ٢/ ٣٨٣. المجان: التروس، المعلم بفوائد مسلم للمازري ٣/ ٢١٠، انظر النهاية ٤/ ٣٠١، ولسان العرب ٦/ ٤١٤٢.

(٤) الخلّة: الطريق بين البلدين. صحيح مسلم بشرح النووي ١٨/ ٦٥.

(٥) صحيح مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته ٤/ ٥١.

عندما يصل إلى مكان بين العراق والشام[١].

ومن ذكر أنه يخرج من أصبهان[٢] مستدلاً بحديث الإمام مسلم رحمه الله وفيه أن رسول الله ﷺ قال: «**يتبع الدجال، من يهود أصبهان سبعون ألفًا**» الحديث[٣] فالظاهر - والله أعلم - أنه يخرج من خراسان، ويتبعه سبعون ألفًا من أصبهان - لا أنه يخرج من أصبهان -، وخراسان وأصبهان قريبتان بعضهما من بعض، وهما من جهة المشرق في بلاد إيران اليوم[٤].

دعوى الدجال: والدجال يدّعي الألوهية[٥].

وفي الحديث: «**. . . وإن من فتنته أن يقول للأعرابي: أرأيت إن بعثت لك أباك وأمك أتشهد أني ربك؟ فيقول: نعم، فيتمثل له شيطانان في صورة أبيه وأمه فيقولان: يا بني اتبعه،**

---

(١) انظر صحيح أشراط الساعة للشلبي ٢١٩.

(٢) انظر فتح الباري ١٣/ ٩١.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في بقية من أحاديث الدجال ٤/ ٢٢٦٦.

(٤) وقد ذكر لي المكتب الإعلامي بالسفارة الإيرانية: أن أصفهان محافظة في وسط إيران عاصمتها مدينة أصفهان، وخراسان محافظة في شمال شرق إيران اليوم.

(٥) ذكر الهيثمي رحمه الله ما ساقه الطبراني بسنده، من أن الدجال يظهر الدين ويدعي الصلاح، ثم يدعي النبوة، ثم يدعي الألوهية وأنه الله. قال الهيثمي: رواه الطبراني وفيه سعير بن حمد الوراق، وهو متروك. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٧/ ٣٤٠. وذكر ضعفه ابن حجر. انظر فتح الباري ١٣/ ٩١.

فإنه ربك»[١]، وفي صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ «**. . .فيأتي على القوم فيدعوهم، فيؤمنون به ويستجيبون له. فيأمر السماء فتمطر. والأرض فتنبت. فتروح عليهم سارحتهم**[٢]**، أطوال ما كانت ذرًا، وأسبغه ضروعًا، وأمدّه خواصر. ثم يأتي القوم. فيدعوهم فيردون عليه قوله. فينصرف عنهم. فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم. ويمر بالخربة فيقول لها: أخرجي كنوزك. فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل**[٣]**. ثم يدعو رجلاً ممتلئًا شبابًا. فيضربه بالسيف فيقطعُه جَزْلتين رمية الغَرَض**[٤]**. ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه. . .»**[٥].

سبب خروجه:

أخرج الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ عن أم المؤمنين حفصة بنت عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها حدثت عن رسول الله ﷺ قال عن الدجال: «**. . .إنما يخرج من غضبة يغضبها**»[٦].

---

(١) سنن ابن ماجه، أبواب الفتن، باب فتنة الدجال ٢/ ٣٩٨، وانظر صحيح الجامع الصغير للألباني ٦/ ٢٧٣ حديث رقم ٧٧٥٢.

(٢) السارحة: هي الماشية. انظر صحيح مسلم بشرح النووي ١٨/ ٦٦.

(٣) اليعسوب: ذكر النحل. انظر صحيح مسلم بشرح النووي ٨/ ٦٦.

(٤) جزلتين رمية الغرض: أي قطعتين ويجعل بين القطعتين مقدار رميته. انظر صحيح مسلم بشرح النووي ١٨/ ٦٧.

(٥) صحيح مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته ٤/ ٢٢٥٠.

(٦) صحيح مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر ابن صياد ٤/ ٢٢٤٦.

وأخرج ابن حبان رحمه الله بسنده وصفًا آخر لزمن خروج الدجال، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أحدثكم ما سمعت من رسول الله الصادق المصدوق: «**أن الأعور الدجال مسيح الضلالة يخرج من قبل المشرق في زمان اختلاف من الناس وفرقة...**»[(١)].

وعن الصعب بن جثامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لايخرج الدجال حتى يذهل الناس عن ذكره، وحتى يترك الأئمة ذكره على المنابر**»[(٢)].

ولعل كل هذه الأوصاف تبين سبب خروجه.

---

(١) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ٨/ ٢٨٦. وصححه العدوي. انظر الصحيح المسند من أحاديث الفتن والملاحم ٤٧٣، وفي مستدرك الحاكم مرفوعًا وصححه: (يخرج الدجال في خفة من الدين وإدبار من العلم) المستدرك ٤/ ٥٣٠، وذكر الدكتور الأشقر أن للمسلمين شأنًا كبيرًا وقوة عظيمة في زمن خروج الدجال، وخروجه للقضاء على تلك القوة. القيامة الصغرى ٢٢٦، والذي يظهر لي ـ والله أعلم ـ أن خروج الدجال من غضبة يغضبها على تحول أحوال المسلمين من الضعف إلى بداية القوة في حروبهم مع النصارى وغيرهم آخر الزمان، وهذا الزمن كذلك زمن اختلاف وفرقة يجمع الله المسلمين ويقويهم بنبيه عيسى بن مريم عليه السلام.

(٢) مسند الإمام أحمد ٤/ ٧١، ٧٢. قال الهيثمي: رواه عبدالله بن أحمد من رواية بقية عن صفوان بن عمرو، وهي صحيحة كما قال ابن معين، وبقية رجاله ثقات. مجمع الزوائد ٧/ ٣٣٥. وحسن إسناده ابن كثير في البداية والنهاية ١٩/ ١٥٧.

مكثه في الأرض:

يمكث الدجال بعد خروجه في الأرض أربعين يومًا، يوم كسنة ويوم كشهر، ويوم كجمعة. وباقي أيامه بعد هذه الأيام الثلاثة كباقي الأيام[١].

فيكون مجموع مكثه حقيقة (٤٢٨) يومًا، أي سنة وشهران وأسبوعان[٢].

- حفظ مكة والمدينة من دخول الدجال:

مكة والمدينة محفوظتان بإذن الله من دخول الدجال الذي سيطؤ كل شيء من الأرض[٣] ويظهر عليه، ويخرج له كل كافر ومنافق فيهما.

---

(١) انظر صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته ٤/ ٢٢٥٢. والدليل على أن اليوم الأول للدجال كسنة حقيقية ما ورد في الحديث من سؤال الصحابة ﷺ بقولهم: فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: (لا. اقدروا له قدره) صحيح مسلم ٤/ ٢٢٥٢. وانظر صحيح مسلم بشرح النووي ١٨/ ٦٥، ٦٦، وانظر فتح الباري ١٣/ ١٠٤، ورجح رواية الجزم بأن مكث الدجال أربعين يومًا.

(٢) انظر البداية والنهاية ١٩/ ٢٠٥.

(٣) في مسند الإمام أحمد رحمه الله مرفوعًا قال عن الدجال: (يمكث في الأرض أربعين صباحًا يبلغ سلطانه كل منهل لا يأتي أربعة مساجد: الكعبة، ومسجد الرسول، والمسجد الأقصى، والطور...) مسند الإمام أحمد ٥/ ٣٦٤، قال الهيثمي رحمه الله: رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح. مجمع الزوائد ٧/ ٣٤٣. وقال ابن حجر رحمه الله: أخرجه أحمد، ورجاله ثقات. فتح الباري ١٣/ ١٠٥.

وفي الحديث الصحيح عن أنس بن مالك ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال، إلا مكة والمدينة، ليس له من نقابها نقب[١] إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها. ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات، فيخرج الله كل كافر ومنافق**»[٢].

- قصة خروج الرجل المؤمن لملاقاة الدجال:

عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: حدثنا رسول الله ﷺ يومًا حديثًا طويلاً عن الدجال، فكان فيما يحدثنا به أنه قال: يأتي الدجال - وهو محرم عليه أن يدخل نقاب المدينة - فينزل بعض السباخ[٣] التي تلي المدينة، فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس - أو من خيار الناس - فيقول: أشهد أنك الدجال الذي حدثنا رسول الله ﷺ حديثه، فيقول الدجال: أرأيتم إن قتلت

---

(١) النقب: الطريق، وقيل الطريق الضيق في الجبل، والجمع: أنقاب ونقاب. انظر لسان العرب ٦/ ٤٥١٤.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب فضائل المدينة، باب لا يدخل الدجال المدينة. فتح الباري ٤/ ٩٥، ومسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قصة الجساسة ٤/ ٢٢٦٥.

(٣) السبخة: هي الأرض التي تعلوها الملوحة، ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/ ٣٣٣.
وفي المسند مرفوعًا قال: فيأتي سبخة الجُرْف، فيضرب رواقه، مسند الإمام أحمد ٣/ ١٩١، والجرف: موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام. معجم البلدان لياقوت ٢/ ١٢٨.

هذا ثم أحييته هل تشكون في الأمر؟

فيقولون: لا، فيقتله ثم يحييه، فيقول: والله ما كنت فيك أشد بصيرة مني اليوم، فيريد الدجال أن يقتله فلا يسلط عليه[١].

وأخرجه مسلم رحمه الله أيضًا مطولاً عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (يخرج الدجال فيتوجه قبله رجل من المؤمنين فتلقاه المسالح[٢]، مسالح الدجال: فيقولون له: أين تعمد؟ فيقول: أعمد إلى هذا الذي خرج. قال: فيقولون له: أو ما تؤمن بربنا؟ فيقول: ما بربنا خفاء. فيقولون: اقتلوه. فيقول بعضهم لبعض: أليس قد نهاكم ربكم أن تقتلوا أحدًا دونه. قال فينطلقون به إلى الدجال. فإذا رآه المؤمن قال: يا أيها الناس! هذا الدجال الذي ذكر رسول الله ﷺ. قال، فيأمر الدجال به فيشبح[٣]. فيقول: خذوه وشجوه. فيُوسع ظهره وبطنه ضربًا. قال فيقول: أو ما تؤمن بي؟ قال: فيقول: أنت المسيح الكذاب. قال: فيؤمر به فيؤشر بالمنشار من مفرقه حتى يفرّق بين رجليه. قال: ثم يمشي الدجال بين القطعتين. ثم يقول له: قم. فيستوي قائمًا. قال: ثم يقول له: أتؤمن بي؟ فيقول: ما ازددت بك إلا

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الفتن، باب لا يدخل الدجال المدينة. فتح الباري ١٣/١٠١، ومسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في صفة الدجال، وتحريم المدينة عليه ٤/٢٢٥٦.

(٢) المسالح: قوم معهم السلاح، يرتبون في المراكز كالخفراء. انظر صحيح مسلم بشرح النووي ١٨/ ٧٢.

(٣) الشبح: المد على البطن. انظر النهاية ٢/ ٤٣٩.

بصيرة. قال: ثم يقول: يا أيها الناس! إنه لا يفعل بعدي بأحد من الناس. قال، فيأخذه الدجال ليذبحه. فيجعل ما بين رقبته إلى ترقوته[١] نحاسًا. فلا يستطيع إليه سبيلا. قال فيأخذ بيديه ورجليه فيقذف به. فيحسب الناس أنما قذفه إلى النار. وإنما ألقي في الجنة).

فقال رسول الله ﷺ: «**أعظم الناس شهادة عند رب العالمين**»[٢].

مقتل الدجال، ومكان قتله:

الدجال يقتل شر قتلة على يد نبي الله عيسى عليه السلام في مدينة لُدّ[٣] بفلسطين. ففي صحيح مسلم رحمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: - وفيه - «**فينزل عيسى ابن مريم ﷺ فأمهم. فإذا رآه عدو الله، ذاب كما يذوب الملح في الماء. فلو تركه لانذاب حتى يهلك. ولكن يقتله الله بيده. فيريهم دمه في حربته**»[٤].

---

(١) الترقوة: بفتح التاء، وضم القاف، وهي العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق. انظر: صحيح مسلم بشرح النووي ١٨/ ٧٤.

(٢) صحيح مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في صفة الدجال، وتحريم المدينة عليه ٤/ ٢٢٥٦.

(٣) لُد: بضم اللام وتشديد الدال المهملة، بوزن: مُدّ، بلد بناحية بيت المقدس بينه وبين الرملة مقدار فرسخ إلى جهة دمشق. انظر الإشاعة لأشراط الساعة للبرزنجي ٢٨٣.

(٤) صحيح مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في فتح قسطنطينية، وخروج الدجال ٤/ ٢٢٢١.

وفي مسلم أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ من حديث النواس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة - وفيه - : فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم ... - إلى أن قال - : فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات. ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه. فيطلبه حتى يدركه بباب لدّ فيقتله[١].

وفي مصنف ابن أبي شيبة رَحِمَهُ اللَّهُ بسنده، أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سأل يهوديًا عن الدجال، فقال: وإله يهود ليقتلنه ابن مريم بفناءُ لُدّ[٢].

ما يعصم من الدجال بإذن الله

١- الاستعاذة من فتنته، وخاصة في أدبار الصلوات.

ففي الصحيحين عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: سمعت رسول الله ﷺ يستعيذ، في صلاته، من فتنة الدجال[٣].

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ كان يعلمهم هذا الدعاء. كما يعلمهم السورة من القرآن. يقول: (قولوا: اللهم إنا نعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر. وأعوذ

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته ٤/ ٢٢٥٠.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ١٥/ ١٤٣، ١٤٤.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب الدعاء قبل السلام. فتح الباري ٢/ ٣٠٧، ومسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ما يستعاذ منه في الصلاة، صحيح مسلم ١/ ٤١١.

بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات[١])[٢].

قال الحافظ الذهبي: والاستعاذة من الدجال متواترة عن رسول الله ﷺ[٣].

٢- حفظ عشر آيات من أول أو آخر سورة الكهف.

فعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف، عصم من الدجال)[٤].

قال الإمام مسلم رحمه الله: قال شعبة: من آخر الكهف[٥].

وقال أبو داود رحمه الله: ... وكذا قال هشام الدستوائي عن قتادة، إلا أنه قال: (من حفظ من خواتيم سورة الكهف). وقال شعبة عن قتادة: من آخر الكهف[٦].

---

(١) فتنة المحيا والممات: فتنة الحياة ما يعرض للإنسان في حياته من الفتن،والممات، ما يفتتن به بعد الموت. انظر: فتح الباري ٢/ ٣١٩.

(٢) صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ما يستعاذ منه في الصلاة ١/ ٤١٣.

(٣) البداية والنهاية ١٩/ ٢٠٠.

(٤) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي ١/ ٥٥٥ .

(٥) صحيح مسلم، كتاب المسافرين وقصرها، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي ١/ ٥٥٦.

(٦) سنن أبي داود، كتاب الملاحم، باب خروج الدجال ٤/ ٤٩٨. وأخرجه الترمذي عن أبي الدرداء رضي الله عنه بلفظ: «**من قرأ ثلاث آيات من أول الكهف** =

٣- سكنى المدينة النبوية ومكة، شرفهما الله تعالى. لأنهما محروستان من دخول الدجال لهما. كما مر سابقًا[١].

٤- الابتعاد عنه حال خروجه.

فعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من سمع بالدجال فلينأ عنه، فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه مما يبعث به من الشبهات، أو لما يبعث به من الشبهات»[٢].**

٥- من أدركه الدجال فليأتِ النهر الذي يراه نارًا.

ففي صحيح مسلم عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لأنا أعلم بما مع الدجال. معه نهران يجريان، أحدهما، رأي العين، ماءٌ أبيض. والآخر، رأي العين، نار تأجج. فإما أدركن أحد فليأت النهر الذي يراه نارًا وليغمّض. ثم ليطأطئ رأسه فيشرب منه. فإنه ماء بارد»[٣].**

= **عصم من فتنة الدجال»** قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. سنن الترمذي ٥/ ١٦٢.
وأثبت الشيخ الألباني رحمه الله شذوذ رواية الثلاث آيات، وأثبت رواية العشر آيات من أول السورة أو آخرها. انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ٣/ ٥٠٩.

(١) ص ٤٥ .

(٢) سنن أبي داود، كتاب الملاحم، باب خروج الدجال ٤/ ٤٩٥. وصحح الألباني. انظر: صحيح سنن أبي داود ٣/ ٨٦٩، حديث رقم ٣٦٢٩. وانظر البداية والنهاية ١٩/ ١٩٠.

٦- كثرة ذكر الدجال والتحذير منه.

وقد مر حديث الصعب بن جثامة وفيه: «**لا يخرج الدجال حتى يذهب الناس عن ذكره وحتى يترك الأئمة ذكره على المنابر**»(٤).

٧- المبادرة بالأعمال قبل خروجه.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**بادروا بالأعمال ستًا - وذكر منها الدجال . . .**»(٥).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته ٤/ ٢٢٤٩.

(٤) ص ٥٢.

(٥) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في بقية من أحاديث الدجال ٤/ ٢٢٦٧.

المبحث الثاني

نزول عيسى ابن مريم عليه السلام

الآيات التي أشير إلى نزوله فيها هي:

١- قال الله جل جلاله: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾ [النِّسَاء: ١٥٩].

حول الآية:

لما ذكر الله عز وجل فضائح اليهود وقبائح أفعالهم، وما عزموا إليه من قتل نبيه عيسى عليه السلام، وبين أنه ما حصل لهم مقصودهم، بل رفع الله عز وجل نبيه إليه[(١)]، ومنّ عليه بإيمان أهل الكتاب به قبل موته وشهادته عليهم يوم القيامة[(٢)].

فقال الله عز وجل: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾ [النِّسَاء: ١٥٩].

---

(١) انظر هذا كله في قوله تعالى: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾ [النِّسَاء: ١٥٦-١٥٩]

(٢) انظر التفسير الكبير ١١/١٠٣.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾.

إن هنا بمعنى (ما) النافية، والمخبر عنه محذوف قامت صفته مقامه، والتقدير: وما أحد من أهل الكتاب[١]. وأهل الكتاب: هم اليهود والنصارى[٢].

قوله تعالى: ﴿إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [النساء: ١٥٩]، الضمير في (به) يرجع إلى نبي الله عيسى عليه السلام، قال به الجمهور رحمهم الله، وقال عكرمة رحمه الله: يرجع إلى نبينا محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم[٣].

والضمير في ﴿مَوْتِهِۦ﴾ قيل: ترجع إلى عيسى عليه السلام وممن اختار هذا القول ابن جرير رحمه الله[٤]، وقيل: ترجع إلى أي أحد يموت من اليهود والنصارى[٥].

والراجح - والله أعلم -: أن كل الأقوال صحيح ولا تعارض بينها، وبكلا القولين في (موته) قال ابن عباس رضي الله عنه

---

(١) انظر البحر المحيط لأبي حيان ٤/ ١٢٩.

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن ٦/ ١٠، ١١.

(٣) انظر تفسير الطبري ٩/ ٣٧٩ - ٣٨٦، وزاد المسير في علم التفسير ٢/ ٢٤٧. وتفسير القرآن العظيم ٢/ ٤٠٥. وذكر أبو حيان قولاً ثالثًا في ضمير (به) وأنه عائد إلى الله جل جلاله. انظر البحر المحيط ٤/ ١٣٠.

(٤) انظر تفسير الطبري ٩/ ٣٨٦.

(٥) انظر معاني القرآن للفراء ١/ ٢٩٣، ٢٩٥، وشرح صحيح مسلم للنووي، ونصر هذا القول ٢/ ١٩١، وفتح القدير ١/ ٣٥٣.

والحسن رَحِمَهُ اللَّهُ[١]، فيكون المعنى في الضمير الأول في (به) أنه عائد إلى عيسى عليه السلام أو إلى محمد ﷺ، لأن عيسى بشّر بمحمد وأوجب الإيمان به[٢].

ومحمد ﷺ أخبر بنبوة عيسى عليه السلام وأوجب الإيمان بها[٣]، فلا يؤمن أحد برسول حتى يصدق بما أخبر به، ومن كفر برسول فقد كفر بجميع الرسل عليهم صلوات الله وسلامه[٤]. والمعنى في الضمير الآخر (موته) عائد إلى عيسى عليه السلام بعد نزوله آخر الزمان فلا يقبل إلا الإسلام.

والضمير في (موته) كذلك عائد إلى كل أحد من أهل الكتاب يموت قبل نزول عيسى عليه السلام فهو يؤمن بعيسى عليه السلام عند موته لكن لا ينفعه هذا الإيمان. وهذا التأويل

---

(١) انظر زاد المسير ٢/ ٢٤٨، وتفسير القرآن العظيم ٢/ ٤٠٥.

(٢) كما في قوله تعالى حاكيًا قول عيسى عليه السلام: ﴿...وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ... ۝٦﴾ [الصف: ٦]

(٣) انظر حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبدالله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق، والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل) صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾ ٦/ ٤٧٤ وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا ١/ ٥٧.

(٤) انظر تفسير القرآن العظيم ٤/ ٢٦٣.

يوافق أول الآية فيكون كل أحد من أهل الكتاب آمن بعيسى عليه السلام سواء قبل نزوله أو بعد نزوله في آخر الزمان[١]. قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٩]، أي يوم الحساب يشهد عيسى عليه السلام على من كذبه بطعن فيه وهم اليهود، أو بإطراء له وتأليه وهم النصارى. وهو كذلك يشهد على من صدّقه وأنه عبد الله ورسوله[٢].

٢- قال الله عز وجل: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾ [الزخرف: ٦١].

حول الآية:

لما ذكر الله عز وجل ما أنعم به على عبده ورسوله عيسى عليه السلام من النبوة والحكمة والعلم والعمل، وما امتاز به من جعله مثلاً لبني إسرائيل بإيجاده من دون أب، وهو بشر أرسل إلى بشر مثله، ولو شاء الله لجعل في الأرض ملائكة ولأرسل لهم رسلاً من جنسهم[٣]، ثم ذكر الله عز وجل نعمة أنعم بها

---

(١) انظر تقرير ابن كثير إيمان أهل الكتاب بعيسى عليه السلام حال الاحتضار، مع ترجيحه أن الضمير عائد إلى عيسى عليه السلام وقت نزوله. تفسير القرآن العظيم ٢/٤٠٦، والبداية والنهاية ١٩/٢١٨، وانظر شرح صحيح مسلم للنووي.

(٢) انظر البحر المحيط ٤/ ١٣٠، والجامع لأحكام القرآن ٦/ ١٢.

(٣) انظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٦/٦٥٦، ٦٥٧.

على عبده ورسوله عيسى بأن جعله علامة من علامات قرب الساعة بنزوله في آخر الزمان[١].

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ ضمير الغائب في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ اختلف العلماء في المراد منه على قولين مشهورين:

أحدهما: أنه يعود إلى نبي الله عيسى عليه السلام، وقال بهذا القول أكثر السلف، واختاره ابن جرير الطبري وابن كثير وغيرهما رحمهم الله[٢]. قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: بل الصحيح أنه عائد على عيسى، فإن السياق في ذكره، ثم المراد بذلك نزوله قبل يوم القيامة[٣].

والقول الآخر: أنه يعود إلى القرآن الكريم، قال بهذا

---

(١) كما قال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾ [الزخرف: ٥٩-٦١]

(٢) انظر تفسير الطبري ٢٥/ ٩٠، والجامع لأحكام القرآن ١٦/ ١٠٥، وتفسير القرآن العظيم ٧/ ٢٢٢، والدر المنثور ٧/ ٣٨٦، ٣٨٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٧/ ٢٢٢، قال الشنقيطي رحمه الله: التحقيق أن الضمير في قوله: (وإنه) راجع إلى عيسى لا إلى القرآن، ولا إلى النبي ﷺ. ومعنى قوله: (لعلم للساعة) على القول الحق الصحيح الذي يشهد له القرآن العظيم، والسنة المتواترة، هو أن نزول عيسى في آخر الزمان، حيا علم للساعة، أي علامة لقرب مجيئها لأنه من أشراطها الدالة على قربها. أضواء البيان ٧/ ٢٦٣.

الحسن، وقتادة، وسعيد بن جبير رحمهم الله، أي أن القرآن أعلم الناس بقرب قيام الساعة، وأخبرهم عن أهوالها[١].

والأقرب - والله أعلم - أن كلا القولين صحيح، ولا تعارض بينهما، فكل من نبي الله عيسى عليه السلام، والقرآن الكريم علم للساعة بقرب وقوعها، وهذا من إعجاز القرآن الكريم حيث عبر بالمعنيين بلفظ واحد، وتفسير الضمير في ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ بعيسى عليه السلام ظاهر حيث إن الحديث في الآيات قبل هذه الآية وبعدها يخصه[٢]، وهذا التفسير أقوى من التفسير الآخر.

وتفسير الضمير في ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ بالقرآن الكريم يلحظ من أن هذه السورة اشتملت على عدة ثناءات للقرآن الكريم من أولها إلى أخرها[٣]، والقرآن الكريم علم للساعة كما في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (بعثت أنا والساعة كهاتين).

قال: وضم السبابة والوسطى[٤]. فكأن هذه الآية والتي بعدها فاصل توجهي في الآيات التي تتحدث عن عيسى عليه

---

(١) انظر تفسير الطبري ٢٥/ ٩١، وزاد المسير ٧/ ٣٢٥، وتفسير التحرير والتنوير، - ونصر مؤلفه هذا القول. ٢٥/ ٢٤٢.

(٢) انظر الآيات في سورة الزخرف من ٥٧- ٦٥.

(٣) انظر تفسير التحرير والتنوير ٢٥/ ٢٤٢، ٢٤٣.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب قول النبي ﷺ: (بعثت أنا والساعة كهاتين). فتح الباري ١١/ ٣٤٧، ومسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قرب الساعة. صحيح مسلم ٤/ ٢٢٦٩.

السلام.

قوله تعالى: ﴿لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ قرأ الجمهور ﴿لَعِلْمٌ﴾ بكسر العين وتسكين اللام[١]. قال ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ: واجتمعت قرّاء الأمصار في قراءة قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ على كسر العين من العلم. وروي عن ابن عباس ما ذكرت عنه في فتحها، وعن قتادة والضحاك.

والصواب من القراءة في ذلك: الكسر في العين، لإجماع الحجة من القراء عليه[٢]. والمعنى على قراءة الجمهور أن نزول عيسى عليه السلام، أو القرآن الكريم يعلم بهما قرب الساعة ودنوها[٣].

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ﴾ [الزخرف: ٦١] أي فلا تشكون في الساعة وفي مجيئها أيها الناس، وأطيعون فاعملوا بما أمرتكم به، وانتهوا عما نهيتكم عنه[٤].

وقوله تعالى: ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [الزخرف: ٦٤] أي أن الإيمان بالساعة واتباعي وطاعتي هو الطريق القيم المستقيم على

---

(١) انظر زاد المسير ٧/ ٣٢٥، ومجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي ٥/ ٩٥، وفتح القدير ٤/ ٥٦٢.

(٢) تفسير الطبري ٢٥/ ٩١.

(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن ١٦/ ١٠٥، الدر المنثور ٧/ ٣٨٧.

(٤) انظر تفسير الطبري ٢٥/ ٩١.

الحق، والموصل إلى جنات عدن، فلا عوج فيه ولا زيغ[١].

٣- قال الله عزّ في علاه في عيسى عليه السلام: ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [آل عِمرَان: ٤٦].

وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: وقد روي عن ابن عباس أنه قال: ﴿وَكَهْلًا﴾ قال: ذلك بعد نزوله من السماء[٢].

وأخرج ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ بسنده عن ابن زيد قال في قوله تعالى: ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ قال: قد كلمهم عيسى في المهد، وسيكلمهم إذا قتل الدجال، وهو يومئذ كهل[٣].

وقال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ: روى المنذري عن أحمد بن يحيى أنه قال: ذكر الله عز وجل لعيسى آيتين، إحداهما: تكليمه الناس في المهد، فهذه معجزة.

والأخرى: نزوله إلى الأرض عند اقتراب الساعة كهلاً ابن ثلاثين سنة، يكلم أمة محمد، فهذه الآية الثانية[٤].

هذه الآية ضمن آيات البشرى التي بشّرت بها مريم عليها السلام بابنها عيسى عليه السلام.

---

(١) انظر النكت والعيون للماوردي ٥/ ٢٣٦، والجامع لأحكام القرآن ١٦/ ١٠٧، وفتح البيان في مقاصد القرآن ١٢/ ٣٦٨.

(٢) زاد المسير ١/ ٣٩٠.

(٣) تفسير الطبري ٦/ ٤٢٠، وعزاه السيوطي لابن جرير فقط، انظر الدر المنثور ٢/ ١٩٩.

(٤) لسان العرب ٥/ ٣٩٤٧.

وتكليم عيسى عليه السلام في المهد آية من آيات الله العظيمة وفضل عظيم تفضل الله به على عيسى وأمه عليهما السلام، وبراءة لها كما قال تعالى: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾

[مَريَم: ٢٩-٣٣]

قال ابن عباس رضي الله عنه في ﴿الْمَهْدِ﴾ قال: مضجع الصبي في رضاعه(١).

قوله ﴿وَكَهْلًا﴾ الكهل: من جاوز الثلاثين إلى تمام الخمسين، وخطّه الشيب، وسُمي كهلاً لاجتماع قوته وكمال شبابه(٢).

وللعلماء في سبب البشارة بكلامه عليه السلام كهلا، مع أن العادة في الكهل الكلام، أقوال هي:

أولاً: أنه خرج مخرج البشارة بطول عمره، أي: أنه يبلغ الكهولة، ومنه إشعار بنزوله آخر الزمان.

ثانيًا: أنه إخبار أن الزمان يؤثر فيه، وأن الأيام تنقله من

---

(١) انظر تفسير الطبري ٦/٤١٧.

(٢) انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٤/٢١٣، ولسان العرب ٥/٣٩٤٧.

حال إلى حال، ولو كان إلهًا كما يزعم النصارى لم يدخل عليه هذا التغيير.

ثالثًا: أنه إخبار بحلمه، كما قال مجاهد ﷺ الكهل: الحليم[١].

رابعًا: قال الزمخشري: يكلم الناس طفلاً وكهلاً، ومعناه: يكلم الناس في هاتين الحالتين كلام الأنبياء من غير تفاوت بين حال الطفولة وحال الكهولة التي يستحكم فيها العقل، ويستنبأ فيها الأنبياء[٢].

٤- قال الله جل جلاله وتقدست أسماؤه: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عِمرَان: ٥٥] الآية.

وعن ابن عباس ﷺ في قوله: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ﴾ يعني رافعك، ثم متوفيك في آخر الزمان[٣].

أخرج ابن أبي حاتم - ﷺ - بسنده عن قتادة ﷺ في قوله: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ﴾ قال: هذا من المقدم والمؤخر أي رافعك إليّ ومتوفيك[٤].

---

(١) انظر تفسير الطبري ٦/ ٤١٨- ٤٢٠، وزاد المسير ١/ ٣٩٠، والبحر المحيط ٣/ ١٥٦، ١٥٧.

(٢) الكشاف ١/ ١٩٠.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم ٢/ ٢٩٦، ٢٩٧.

(٤) سورة النساء، الآية: [١٥٧].

وهذه من فضل الله عز وجل على نبيه عيسى عليه السلام حيث رفعه وحفظه من مكر الماكرين وكيد الكائدين الذين أرادوا قتله[١]، ولقد أجمعت الأمة على ما تضمنته الأحاديث المتواترة من أن عيسى عليه السلام في السماء حي، وأنه ينزل في آخر الزمان[٢].

ولذلك أشكل على البعض المقصود بالوفاة في قوله ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾، وللعلماء أقوال في تأويلها وهي:

أولاً: روي عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقتادة رحمه الله أن في هذه الآية تقديمًا وتأخيرًا، والمعنى: رافعك إليَّ من مكر الماكرين، ومتوفّيك في آخر الزمان بعد نزولك. فقوله ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ لا يدل على تعيين الوقت، ولا يدل على كونه قد مضى،والواو لا تقتضي الترتيب ولا الجمع[٣].

ثانيًا: قوله ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ اسم فاعل توفاه إذا قبضه وحازه

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور، وعزاه إلى إسحاق بن بشر وابن عساكر ٢/ ٢٢٦.
وانظر تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير من كتب السنة للحميدي ١/ ١٦٩، ١٧٠.

(٢) انظر المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٣/ ١٠٥، والبحر المحيط ٣/ ١٧٧.

(٣) انظر معاني القرآن للفراء ١/ ٢١٩، وأضواء البيان ٧/ ٢٦٩، تفسير ابن عباس للحميدي ١/ ١٧٠.

إليه، ومنه قولهم: (توفي فلان دينه) إذا قبضه إليه، فيكون معنى متوفيك على هذا، قابضك منهم إليّ حيًا. واختار هذا القول ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ[١].

ثالثًا: إن معنى متوفيك: أي منيمك ورافعك إليّ، أي في تلك النومة وقد جاء في القرآن الكريم إطلاق الوفاة على النوم، كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ [الأنعام: ٦٠] وقوله عز وجل: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا﴾ [الزُّمَر: ٤٢][٢].

رابعًا: قيل توفاه الله عز وجل حقيقة ساعات معدودة ثم أحياه[٣] واستبعد القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ هذا القول[٤].

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: وأما الجمع بأنه توفاه ساعات أو أيامًا، ثم أحياه فلا معول عليه، إذ لا دليل عليه[٥].

وقال في دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب: فالظاهر

---

(١) انظر تفسير الطبري ٦/ ٤٥٨، زاد المسير ١/ ٣٩٦، والجامع لأحكام القرآن ٤/ ١٠٠.

(٢) انظر تفسير الطبري ٦/ ٤٥٥، وتفسير القرآن العظيم ٢/ ٣٨، والبحر المحيط ٣/ ١٧٦.

(٣) انظر: تفسير الطبري ٦/ ٤٧٥، ٤٥٨، وتفسير ابن أبي حاتم ٢/ ٢٩٥، والدر المنثور ٢/ ٢٢٥.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٤/ ١٠٠.

(٥) أضواء البيان ٤/ ٢٧١.

أنه من الإسرائيليات. . .[١].

٥- قال الله جلّ وتقدّس: ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ [محمَّد: ٤]

في مسند الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**يوشك من عاش منكم أن يلقى عيسى ابن مريم إمامًا مهديًا وحكمًا عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، وتضع الحرب أوزارها**»[٢].

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: يوشك أن ينزل عيسى ابن مريم، عيه السلام، إمامًا مهديًا، وحكمًا عدلاً، فيقتل الخنزير، ويكسر الصليب، وتوضع الجزية. و ﴿تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾[٣].

وعن مجاهد رحمة رَحِمَهُ اللَّهُ قال في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ يعني: نزول عيسى ابن مريم، ﷺ[٤].

وعن سعيد بن جبير رَحِمَهُ اللَّهُ قال في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ قال: خروج عيسى ابن مريم عليه السلام[٥].

---

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ٥٣.

(٢) مسند الإمام أحمد ٢/ ٤١١. وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر رحمه الله. انظر شرح المسند ١٨/ ٦٩. وانظر المعجم الصغير للطبراني ١/ ٦٤، والكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي ٣/ ١١١.

(٣) تفسير مجاهد ٢/ ٥٩٨.

(٤) تفسير مجاهد ٢/ ٥٩٧، وتفسير الطبري ٢٦/ ٤٢، والدر المنثور ٧/ ٤٩٥، ٤٦٠.

(٥) الدر المنثور ٧/ ٤٦٠.

قال الشيخ حمود التويجري رحمه الله: باب ما جاء في نزول عيسى إلى الأرض، وقد أخبر الله بذلك في آيتين من القرآن وأشار إليه في آية ثالثة[١].

وفي وضع الحرب أوزارها قولان مشهوران للمفسرين هما:

القول الأول: وضعت الحرب أوزارها: أي انقضى أمرها ووضع المحاربون آلات الحرب. وأصل (الوزر) ما حملته، فسمى السلاح (أوزارًا) لأنه يحمل. كما قال الأعشى:

وأعددت للحرب أوزارها
رماحًا طِوالا وخيلاً ذُكورا

وهذا القول قد يحدث في أي معركة بين المسلمين والكفار.

القول الآخر: حتى تضع حربكم وقتالكم أوزار المشركين وقبائح أعمالهم بأن يسلموا، ولا يعبدوا إلا الله، ولا يبقى في الأرض إلا مسلم. ووضع المشركين أوزارهم وإسلامهم عامة، ولا يكون إلا في زمن عيسى عليه السلام[٢].

---

(١) الآيتان هما في سورة النساء الآية: ١٥٩، وسورة الزخرف: ٦١، والآية المشار إليه فيها هي قوله تعالى: حتى تضع الحرب أوزارها سورة محمد الآية: ٤.
انظر إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة ٢/ ٢٢١- ٢٢٥.

(٢) انظر: معاني القرآن في ٣/ ٥٧، وتفسير الطبري ٢٦/ ٤٢، وتذكرة الأريب في تفسير الغريب لابن الجوزي ٢/ ١٥٩، وزاد المسير ٧/ ٣٩٧، ٣٩٨، والجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٢٢٨، وبصائر ذوي التمييز ٥/ ٢٠٢.

نزول المسيح عيسى ابن مريم عليهما السلام:

قد تواترت الأخبار بنزول عيسى ابن مريم عليهما السلام في آخر الزمان وأجمعت الأمة على ذلك(١).

ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الحرب، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيرًا من الدنيا وما فيها**». ثم يقول أبو هريرة: واقرءوا إن شئتم ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾ [النِّسَاء: ١٥٩](٢).

قال الشيخ التويجري رحمه الله: قد اتفق أهل السنة والجماعة على القول ببقاء حياة عيسى عليه الصلاة والسلام، ونزوله في آخر الزمان حكمًا عدلاً، وليس بينهم خلاف ولا جدل في ذلك. وقد تقدم ذكر أقوالهم في ذلك قريبًا. والذين جعلوا من حياة عيسى موضع خلاف وجدل هم الفلاسفة، وبعض أهل البدع من

---

(١) انظر تفسير الطبري ٦/ ٤٥٨، المحرر الوجيز ٣/ ١٠٥، والتصريح بما تواتر في نزول المسيح لمحمد أنور شاه ٥٦-٦١، والإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة لمحمد صديق حسن ١٢٩- ١٣١.

(٢) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب نزول عيسى بن مريم عليهما السلام، فتح الباري ٦/ ٤٩٠، ومسلم في كتاب الإيمان، باب نزول عيسى بن مريم حاكمًا بشريعة نبينا محمد ﷺ، صحيح مسلم ١/ ١٣٥.

الخوارج والمعتزلة والجهمية، ومن اقتفى آثارهم من أهل البدع، وهم كثير في زماننا، ولا عبرة بخلافهم[١].

- سبب تسمية عيسى ابن مريم عليهما السلام بالمسيح:

المسيح لقب عيسى ابن مريم عليهما السلام أو اسمه[٢] لقوله تعالى: ﴿ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [آل عِمرَان: ٤٥].

وسمي عليه السلام بذلك، لأنه لا يمسح بيده ذا عاهة إلا برأ، وقيل: سمي بذلك لأنه كان يمسح الأرض، أي يقطعها، أي كان كثير السياحة في الأرض. وقيل: سمي بذلك لأنه ممسوح بالبركة والطهر، وقيل: غير ذلك.

ويفرق بين لقب: المسيح عيسى ابن مريم عليهما السلام، ولقب: المسيح الدجال، لأن الدجال وصف بالمسيح لأنه ممسوح إحدى العينين، وقيل: إنه يسيح في الأرض ويدخل جميع البلدان إلا الحرمين للفتنة والبلاء[٣].

- خصائص المسيح عيسى ابن مريم عليهما السلام:

من خصائص المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ما يلي:

---

(١) إتحاف الجماعة ٢/ ٢٦٩.

(٢) انظر البحر المحيط ٣/ ١٥٣، ١٥٤.

(٣) انظر المحرر الوجيز ٣/ ٣/ ٨٧، وزاد المسير ١/ ٣٨٩، والجامع لأحكام القرآن ٤/ ٨٨، ٨٩، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادي، ذكر قريبًا من خمسين قولاً في المسيح ٤/ ٤٩٨- ٥٠٥.

أولاً: أن الله خلقه من غير أب كما قال تعالى: ﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾﴾ [مريم: ٢٠-٢١].

قال ابن كثير رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ قال: أي دلالة وعلامة للناس على قدرة بارئهم وخالقهم، الذي نوع في خلقهم، فخلق آدم من غير ذكر ولا أنثى، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى، وخلق بقية الذرية من ذكر وأنثى، إلا عيسى فإنه أوجده من أنثى بلا ذكر، فتمت القسمة الرباعية الدالة على كمال قدرته وعظيم سلطانه، فلا إله غيره، ولا رب سواه[1].

وفي حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل)[2].

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ رحمه الله: قوله: (وأن عيسى عبدالله ورسوله) أي: خلافًا لما يعتقده النصارى، أنه الله، أو ابن الله، أو ثالث ثلاثة. تعالى الله عما يقولون علوًا كبيراً: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ﴾ [المؤمنون:

(١) تفسير القرآن العظيم ٥/ ٢١٥.
(٢) تقدم تخريجه ص: (٦١ هامش ٢).

٩١] فلابد أن يشهد أن عيسى عبدالله ورسوله على علم ويقين بأنه مملوك لله، خلقه من أنثى بلا ذكر. كما قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [آل عِمرَان: ٥٩] إلى أن قال: ويشهد المؤمن أيضًا ببطلان قول أعدائه اليهود: إنه ولد بغي، لعنهم الله تعالى. فلا يصح إسلام أحد علم ما كانوا يقولونه حتى يبرأ من قول الطائفتين جميعًا في عيسى عليه السلام، ويعتقد ما قاله الله تعالى فيه: إنه عبدالله ورسوله(١).

ثانيًا: أن الله أنطقه بكلام صحيح وهو في المهد على غير العادة في من هو في مثل سنه، كما قال الباري جل جلاله: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [مَريَم: ٢٩-٣٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة...**» الحديث وذكر منهم عيسى ابن مريم عليهما السلام(٢).

---

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ٣٥، ٣٦.

(٢) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله (واذكر في الكتاب مريم...) فتح الباري ٦/ ٤٧٦.

وتتبع الحافظ ابن حجر رحمه الله من تكلم في المهد وعد منهم سبعة[١].

ثالثًا: حفظ الله له من الشيطان حين الولادة.

ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**ما من مولود يولد إلا نخسه الشيطان. فيستهل صارخًا من نخسة الشيطان. إلا ابن مريم وأمه**». ثم قال أبو هريرة: **اقرؤا إن شئتم**: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٦][٢].

فأفاد هذا الحديث أن الله عز وجل استجاب دعاء أم مريم، فحفظ مريم وابنها عليهما السلام من نخس الشيطان[٣].

وقال البغوي رحمه الله في قوله الله عز وجل حكاية عن عيسى عليه السلام: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ...﴾ [مريم: ٣٣] الآية. قال:

---

(١) انظر فتح الباري ٦/ ٤٨٠.

(٢) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: (واذكر في الكتاب مريم..) فتح الباري ٦/ ٤٦٩، ومسلم في كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى عليه السلام. صحيح مسلم ٤/ ١٨٣٨.

(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن ٤/ ٦٨. وذكر القرطبي رحمه الله عن العلماء، أن الشيطان ينخس جميع ولد آدم حتى الأنبياء والأولياء إلا مريم وابنها. وقد يلزم من هذا أن نخس الشيطان يلزم منه إضلال المنخوس وإغواؤه فإن ذلك ظن فاسد، فكم تعرّض الشيطان للأنبياء والأولياء بأنواع الإفساد والإغواء ومع ذلك فعصمهم الله مما يرومه الشيطان... الجامع ٤/ ٦٨.

أي السلام عند الولادة من طعن الشيطان[١].

رابعًا: من خصائص عيسى عليه السلام إحياء الموتى بإذن الله تعالى وإبراء الأكمه[٢] والأبرص[٣] بإذن الله تعالى.

قال تعالى: ﴿...وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ... ﴿٤٩﴾﴾ [آل عِمرَان: ٤٩] الآية.

وقال تعالى: ﴿وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي﴾ [المَائدة: ١١٠] الآية.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: قال كثير من العلماء: بعث الله كل نبي من الأنبياء بمعجزة تناسب أهل زمانه، فكان الغالب على زمان موسى عليه السلام السحر وتعظيم السحرة، فبعثه الله بمعجزة بهرت الأبصار وحيرت كل سحّار، فلما استيقنوا أنها من عند العظيم الجبار انقادوا للإسلام، وصاروا من الأبرار.

وأما عيسى عليه السلام فبعث في زمن الأطباء وأصحاب علم الطبيعة، فجاءهم من الآيات بما لا سبيل لأحد إليه. إلا أن يكون مؤيدًا من الذي شرع الشريعة. فمن أين للطبيب قدرة على

---

(١) معالم التنزيل ٣/ ١٩٥.

(٢) الأكمه: هو الأعمى، يقال: كمهت عينه. إذا عميت.
أبرئ الأكمه: أشفيه وأزيل عماه من عينيه وأجعله مبصرًا. انظر تفسير الطبري ٦/ ٤٢٨- ٤٣١، والمحرر الوجيز ٣/ ٩٥، ٩٦.

(٣) البرص: معروف، وهو بياض يعتري الجلد. انظر الجامع لأحكام القرآن ٤/ ٩٤.

إحياء الجماد، أو على مداواة الأكمه، والأبرص، وبعث من هو في قبره رهين إلى يوم التناد؟.

وكذلك محمد ﷺ بعثه في زمن الفصحاء والبلغاء ونحارير الشعراء، فأتاهم بكتاب من الله عز وجل، لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور من مثله، أو بسورة من مثله لم يستطيعوا أبدًا، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا، وما ذاك إلا لأن كلام الرب؛ لا يشبهه كلام الخلق أبدًا[1].

خامسًا: من خصائص عيسى عليه السلام أن الله عز وجل رفعه حيًا إلى السماء، وأنه ينزل في آخر الزمان، ونزوله دليل على قرب الساعة، ثم يموت[2]. كما قال تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾ [النِّسَاء: ١٥٨].

وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ[3] وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عِمرَان: ٥٥]، قال القاضي ابن عطية رحمه الله: وأجمعت الأمة على ماتضمنه الحديث المتواتر من أن عيسى عليه السلام في السماء حي، وأنه ينزل في آخر الزمان - إلى أن قال -: ثم

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٢/ ٣٦.

(٢) سبق الكلام على رفع الله عز وجل لعيسى عليه السلام إلى السماء، وأنه ينزل في آخر الزمان عند شرح الآيات المتعلقة بنزول عيسى عليه السلام فيما سبق.

(٣) سبق ذكر أقوال العلماء في معنى (متوفيك) عند شرح هذه الآية فيما سبق، (ص: ٦٩-٧٠).

يميته الله تعالى[١].

صفات نبي الله عيسى عليه السلام الخلقية:

أورد الإمام البخاري رحمه الله عدة أحاديث في صفة عيسى عليه السلام تجمع صفاته، وهي:

حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**. . . ولقيت عيسى، فنعته النبي ﷺ فقال: ربعة أحمر، كأنما خرج من ديماس - يعني الحمام. . .**».

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «**رأيت عيسى وموسى وإبراهيم، فأما عيسى فأحمر جعد عريض الصدر. . .**».

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لا والله، ما قال النبي صلى الله عليه وسلم لعيسى أحمر، ولكن قال: «**بينما أنا نائم أطوف بالكعبة، فإذا رجل آدم سبط الشعر. . .**» وفي رواية: «**فإذا رجل آدم كأحسن ما يُرى من أُدم الرجال، تضرب لمته بين منكبيه، رجل الشعر. . .**» الحديث[٢]. فعلى ما سبق تكون صفات نبي الله عيسى عليه السلام الخلقية كالتالي:

أ - **جسمه**: هو ربعة أي معتدل الجسم لا بالطويل ولا

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ١٠٥.

(٢) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله: (واذكر في الكتاب مريم...)، فتح الباري ٦/ ٤٧٦ . ٤٧٨.

بالقصير[١]، عريض الصدر، جعد، أي جعد الجسم وهو المجتمع الشديد المكتنز الجسم، غير المسترخي[٢].

ب - شعر رأسه:

سبط الشعر: أي مسترسل لا جعودة فيه[٣].

تضرب لمته بين منكبيه: أي أن شعره قد جاوز شحمة الأذنين وألم بالمنكبين[٤].

رجل الشعر: بكسر الجيم، أي قد سرحه ودهنه[٥].

لون بشرته (جلده):

أحمر: أراد بالأحمر الأبيض، والأحمر عند العرب الشديد البياض مع الحمرة. والعرب لا تقول رجل أبيض من بياض اللون، وإنما الأبيض عندهم الطاهر النقي من العيوب[٦].

آدم: أي الأسمر من الناس، وقيل: الأدمة: البياض.

والأدمة في الإبل: البياض الشديد. وقيل: هي من أدمة

---

(١) انظر لسان العرب ٣/ ١٥٦٦.
(٢) انظر لسان العرب ١/ ٦٣١، وفتح الباري ٦/ ٤٨٦.
(٣) انظر لسان العرب ٣/ ١٩٢٢، وفتح الباري ٦/ ٤٨٥.
(٤) انظر فتح الباري ٦/ ٤٨٦.
(٥) انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/ ٢٠٣، وفتح الباري ٦/ ٤٨٦.
(٦) انظر لسان العرب ٢/ ٩٩٠، وفتح الباري ٦/ ٤٨٦.

الأرض أي لونها[١].

فصفة نبي الله عيسى عليه السلام كالتالي: أبيض جميل مشرب بحمرة[٢]، معتدل الطول عريض الصدر، قوي الجسم غير مسترخ، شعره مسترسل وطويل يبلغ طوله قريبًا من منكبيه مسرّح يقطر منه الماء.

- **نزوله عليه السلام في آخر الزمان:**

وفيما سبق ذكر الآيات المخبرة بنزوله من مثل قول الله عز وجل: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾ [النِّسَاء: ١٥٩].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾ [الزّخرُف: ٦١].

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم**

---

(١) انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ١/ ٣٢، ولسان العرب ١/ ٤٦، وفتح الباري ٦/ ٤٨٦.

(٢) أشكل عليّ الجمع بين صفة لون عيسى عليه السلام حيث ورد في حديث أبي هريرة وابن عباس رضي الله عنهم أنه أحمر، وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما أنه آدم، والآدم في قول جمهور اللغويين من الناس هو الأسمر. ولم أجد من جمع بين هاتين الصفتين بجمع مقنع، فاستأنست بقول من قال إن الآدم هو الأبيض للتوفيق بين الروايات في لونه، والله أعلم بالصواب.

حكمًا عدلاً. . .» الحديث[١].

بل ذكرت الأحاديث صفة نزوله ومكانه ففي صحيح مسلم عن النواس بن سمعان ﷺ، قال: ذكر سول الله ﷺ الدجال ذات غدة - إلى أن قال -: **«فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم. فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق. بين مَهْرودتين[٢]. واضعًا كفيه على أجنحة ملكين. إذا طأطأ رأسه قطر. وإذا رفعه تحدر منه جُمان كاللؤلؤ[٣]. فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات. ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه. . .»**[٤]. **الحديث.**

قال ابن كثير رحمه الله: هذا هو الأشهر في موضع نزوله أنه على المنارة البيضاء الشرقية بدمشق[٥] - إلى أن قال -: وليس في

---

(١) سبق تخريجه في أول مبحث نزول عيسى بن مريم عليهما السلام ص ٧١.

(٢) قال النووي رحمه الله: أما المهرودتان، فروي بالدال المهملة والذال المعجمة والمهملة أكثر والوجهان مشهوران للمتقدمين والمتأخرين من أهل اللغة والغريب وغيرهم، وأكثر ما يقع في النسخ بالمهملة كما هو المشهور، ومعناه: لابس مهرودتين أي ثوبين مصبوغتين بورس ثم بزعفران، وقيل هما شقتان، والشقة نصف الملاءة. شرح صحيح مسلم ١٨/ ٦٧، وانظر المعلم بفوائد مسلم للمازري ٣/ ٢١٣.

(٣) الجمان: حبات الفضة، تصنع على هيئة اللؤلؤ الكبار، والمراد يتحدر منه الماء على هيئة اللؤلؤ في صفائه. انظر: شرح صحيح مسلم للنووي ١٨/ ٦٧.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته ٤/ ٢٢٥٠.

(٥) ذكر ابن كثير رحمه الله عدة أقوال في مكان نزوله منها، بيت المقدس، وقيل الأردن، وقيل ينزل بمعسكر المسلمين. انظر البداية والنهاية ١٩/ ٢٣٠، و ١٩/ ٢١٩.

دمشق منارة تعرف بالشرقية سوى التي إلى جانب الجامع الأموي بدمشق من شرقيه، وهذا هو الأنسب والأليق، لأنه ينزل، وقد أقيمت الصلاة، فيقول له إمام المسلمين (يا روح الله تقدم). فيقول: (تقدم أنت، فإنها إنما أقيمت لك)[١][٢].

وقال السفاريني رحمه الله: الروايات ثابتة أن نزول عيسى عليه السلام مع الفجر على منارة دمشق الشرقية، ويكون المهدي قد جمع الناس لقتال الدجال...[٣].

بعض أعماله التي يقوم بها بعد نزوله:

١- يقتل المسيح الدجال:

هذا أول عمل يقوم به عيسى بن مريم عليهما السلام لتخليص الناس من فتنة هذا الدجال[٤].

٢ - من أعماله عليه السلام أنه ينزل حكمًا عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية.

في الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**والله لينزلن ابن مريم حكمًا عدلاً، فليكسرن الصليب،**

---

(١) انظر صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب نزول عيسى بن مريم حاكمًا بشريعة محمد ﷺ، ١/ ١٣٧.

(٢) البداية والنهاية ١٩/ ٢٢٩، وانظر البداية والنهاية ١٩/ ٢١٩.

(٣) لوامع الأنوار البهية ٢/ ١٠٣.

(٤) انظر، مقتل الدجال ومكان قتله فيما سبق، ص٧١.

وليقتلن الخنزير، وليضعن الجزية...[١].

وعن أبي هريرة أيضًا رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال عن عيسى عليه السلام: «**...فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويدعو الناس إلى الإسلام، ويهلك في زمانه الأمم كلها إلا الإسلام، ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال...**» الحديث[٢].

والمعنى: أن عيسى عليه السلام ينزل حاكمًا بهذه الشريعة الإسلامية، ولا يقبل من أحد إلا الإسلام.

وكسر نبي الله عيسى عليه السلام للصليب إبطال لدين النصرانية المحرف، وإبطال لما يزعمه النصارى في نبي الله عيسى عليه السلام من التعظيم، وقتل الخنزير تأكيد لتحريمه لا كما تزعم النصارى حله.

ووضع الجزية لكون الدين يصير واحدًا، فلا يبقى أحد من أهل الذمة يؤدي الجزية[٣]. قال النووي رحمه الله: الصواب ماقدمناه، وهو أنه لا يقبل منه - أي الكتابي - إلا الإسلام، فعلى هذا قد يقال: هذا خلاف حكم الشرع اليوم، فإن الكتابي إذا بذل

---

(١) سبق تخريجه ص ٧١.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢/ ٤٠٦، وأبو داود في سننه كتاب الملاحم، باب خروج الدجال ٤/ ٤٩٩. قال ابن كثير: وهذا إسناد جيد قوي. البداية والنهاية ١٨/ ٢٢٤. وصححه ابن حجر في فتح الباري ٦/ ٤٩٣، وصححه شعيب الأرنؤوط في تخريج مسند الإمام أحمد ١٥/ ١٥٤.

(٣) انظر فتح الباري ٦/ ٤٩١، وصحيح أشراط الساعة لشلبي ٢٥٨.

الجزية وجب قبولها ولم يجز قتله ولا إكراه على الإسلام؟

وجوابه: أن هذا الحكم ليس بمستمر إلى يوم القيامة بل هو مقيد بما قبل عيسى عليه السلام وقد أخبرنا النبي ﷺ في هذه الأحاديث الصحيحة بنسخه، وليس عيسى عليه السلام هو الناسخ بل نبينا ﷺ هو المبين للنسخ، فإن عيسى يحكم بشرعنا[١].

وقال السفاريني رحمه الله: وقد انعقد إجماع الأمة على أنه - أي نبي الله عيسى عليه السلام - ينزل ويحكم بهذه الشريعة المحمدية، وليس ينزل بشريعة مستقلة عند نزوله من السماء، وإن كانت النبوة قائمة به، وهو متصف بها[٢].

٣- هلاك يأجوج ومأجوج[٣] في زمانه بدعائه وأصحابه:

في حديث النواس رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: - وفيه - «**فبينما هو كذلك، إذ أوحى الله إلى عيسى: أني قد أخرجت عبادًا لي، لا يدان لأحد بقتالهم[٤]. فحرز عبادي إلى الطور[٥]**»،

---

(١) شرح صحيح مسلم ٢/ ١٩٠.

(٢) لوامع الأنوار البهية ٢/ ٩٤، ٩٥، وانظر إتحاف الجماعة ٢/ ٢٥٨، ٢/ ٢٤٩.

(٣) سوف يمر الكلام على يأجوج ومأجوج قريبًا إن شاء الله، ص٩٢.

(٤) لا يدان لأحد بقتالهم: أي لا قدرة ولا طاقة لأحد بقتالهم. شرح صحيح مسلم ١٨/ ٦٨ .

(٥) الطور: جبل في سيناء بين فلسطين ومصر، كلم الله عز وجل نبيه موسى عنده. انظر معجم البلدان لياقوت ٤/ ٤٨، ومعجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع للبكري ٣/ ٨٩٧.

ويبعث الله يأجوج ومأجوج. وهم من كل حدب ينسلون. فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية[١]، فيشربون ما فيها. ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه. حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرًا من مائة دينار لأحدكم اليوم. فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه. فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم[٢] فيصبحون فرسى[٣] كموت نفس واحدة. . .» الحديث[٤][٥].

نزول البركة والأمان في زمان عيسى عليه السلام:

وذلك بسبب إيمان الناس بربهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [المائدة: ٦٥-٦٦]، وقال سبحانه: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ [الأعراف: ٥٨]. وقال عز وجل: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا

---

(١) بحيرة طبرية: البحيرة المعروفة بين الأردن وفلسطين ماؤها عذب. انظر: معجم البلدان ٤/ ١٧.

(٢) النغف: دود يكون في أنوف الإبل والغنم. انظر: شرح صحيح مسلم ١٨/ ٦٩.

(٣) فرسى: أي قتلى، جمع فريس. انظر لسان العرب ٥/ ٣٣٧٩، ٣٣٨٠.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته ٤/ ٢٢٥٠.

(٥) سوف يمر الكلام على هلاك يأجوج ومأجوج قريبًا إن شاء الله، ص٩٧.

﴿١٦﴾ [الجن: ١٦]. وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**. . . ويدعو الناس إلى الإسلام فيهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام، ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال، ثم تقع الأمنة[١] على الأرض، حتى ترتع[٢] الأسود مع الإبل، والنمار مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم. . .**» الحديث[٣].

وفي حديث النواس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ - وفيه - قال: «**. . .ثم يرسل الله مطرًا لا يُكنّ منه بيت مدر[٤] ولا وبر. فيغسل الأرض حتى يتركها كالزَّلَفه[٥]. ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرتك، وردي بركتك. فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة، ويستظلون بقحفها[٦]. ويبارك في الرِّسل[٧] حتى أن اللِّقحة من الإبل لتكفي**

---

(١) الأمنة: الأمن، يريد أن الأرض تمتلئ بالأمن، فلا يخاف أحد من الناس والحيوان. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ١/ ٧١.

(٢) الرتع: الرعي في الخصب. انظر لسان العرب ٣/ ١٥٧٧.

(٣) سبق تخريجه ص ٧٤.

(٤) لا يُكِن منه بيت مدر: أي لا يمنع من نزول الماء بيت، والمدر: هو الطين الصلب. انظر: شرح صحيح مسلم ١٨/ ٦٩.

(٥) كالزَّلَفه: كمجامع الماء، وقيل: الزلفة: المرآة، شبهها بها لاستوائها ونظافتها، وقيل: الروضة. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/ ٣٠٩.

(٦) العصابة: الجماعة، والقَحف: مقعر قشرها، شبهها بقحف الرأس. انظر شرح صحيح مسلم ١٨/ ٦٩.

(٧) الرِّسل: اللبن، وإنما يكثر في حال الرخاء والخِصب. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/ ٢٢٢، ٢٢٣.

الفئام من الناس[١].

واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس. واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ[٢] **من الناس. . .**» الحديث[٣].

وفي صحيح مسلم عن عبدالله بن عمرو ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ - وفيه -: «. . .**ثم يمكث الناس سبع سنين، ليس بين اثنين عداوة. . .**» الحديث[٤].

بل من عموم الأمن والأمان ونزول البركة والسلام يمتدح الرسول ﷺ العيش بعد نزول المسيح عيسى ابن مريم عليهما السلام، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**طوبى**[٥] **لعيش بعد المسيح، يؤذن للسماء في القطر، ويؤذن للأرض في النبات، حتى لو بذرت حبك على الصفا لنبت**[٦]**، وحتى يمر الرجل على الأسد فلا يضره، ويطأ على الحية فلا**

---

(١) اللقحة من الإبل: القريبة العهد بالولادة. الفئام: الجماعة الكثيرة. انظر شرح صحيح مسلم ١٨/ ٧٠.

(٢) فخذ الرجل: أقرب عشيرته إليه. انظر لسان العرب ٥/ ٣٣٦٠.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته ٤/ ٢٢٥٠.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب خروج الدجال ومكثه في الأرض ٤/ ٢٢٥٨.

(٥) طوبى: على وزن فُعلى، من الطيب. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/ ١٤١.

(٦) الصفا: الصخرة الملساء. انظر مختار الصحاح للرازي ٣٦٦.

تضره، ولا تشاح، ولا تحاسد، ولا تباغض»[١].

موت عيسى عليه السلام:

بعد هذا العمر الحافل لنبي الله عيسى عليه السلام حيث قضى أوله في دعوة بني إسرائيل إلى صراط الله المستقيم، وبسبب كيد الكائدين ودسائس المتآمرين للقضاء عليه رفعه الله عز وجل إلى السماء، وكان في علمه عز وجل أن يكون لنبيه عيسى عليه السلام شأن آخر في آخر الزمان حيث ينزل حاكمًا بشريعة محمد عليه الصلاة والسلام، ويقتل الدجال، ويكسر الصليب، وينشر الإسلام في أرجاء الأرض، ويعم الأمن، وتكثر الخيرات.

ويمكث عيسى عليه السلام بعد نزوله أربعين سنة[٢]، لكنها تمر

---

(١) انظر الفردوس بمأثور الخطاب للديلمي ٢/ ٤٥٠، وكنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للهندي ١٤/ ٣٣٣. وحسنه السيوطي في الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير ٣٢٦ حديث رقم ٥٢٩٢، وصحح إسناده الألباني في صحيح الجامع الصغير ٤/ ١٢، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤/ ٥٥٩ .

(٢) يمكث عيسى عليه السلام أربعين سنة بعد نزوله. وذكر ابن حجر رحمه الله قولاً آخر أنه يمكث سبع سنين، وقيل تسع عشرة سنة، وذكر السفاريني قولاً رابعًا على أن الأربعين يكون عمره حيث رفع إلى السماء وهو ابن ثلاث وثلاثين ومكث بعد نزوله سبع سنين فيكون المجموع أربعين سنة . قلت رواية ابن عمر في صحيح مسلم ليست صريحة في أن مكثه بعد نزوله إلى وفاته سبع سنين والله أعلم. انظر السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها للداني ٦/ ١٢٣٨، ١٢٥٠، والبداية والنهاية ١٨/ ١٣٢، وفتح الباري ٦/ ٤٩٣، لوامع الأنوار البهية ٢/ ٩٨، ٩٩، وإتحاف الجماعة ٢/ ٢٥٢، ٢٥٣.

سريعًا لطيبها وعموم خيراتها، ثم يموت نبي الله عيسى عليه السلام ويصلي عليه المسلمون ويقبر في الأرض.

ففي الحديث الصحيح: «. . . **فيمكث أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون**»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ [الزّخرُف: ٦١]، قال: خروج عيسى يمكث في الأرض أربعين سنة، تكون تلك الأربعون أربع سنين، يحج ويعتمر(٢).

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢/ ٤٠٦، وأبو داود في سننه، كتاب الملاحم، باب خروج الدجال ٤/ ٤٩٩، قال ابن كثير: وهذا إسناد جيد قوي، البداية والنهاية ١٨/ ٢٢٤. وصححه ابن حجر في فتح الباري ٦/ ٤٩٣، وصححه شعيب الأرنؤوط في تخريج مسند الإمام أحمد ١٥/

(٢) انظر الدر المنثور، وعزاه لعبد بن حميد ٧/ ٣٨٦، ٣٨٧.

المبحث الثالث

خروج يأجوج ومأجوج(١)

الآيات التي أشير إلى خروجه فيها هي:

١- قال الله عز وجل عن ذي القرنين(٢) رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾﴾ [الكهف: ٩٨-٩٩].

---

(١) سوف يمر قريبًا إن شاء الله معنى (يأجوج ومأجوج) واشتقاقها اللغوي، ص: ١٠٠.

(٢) ذو القرنين: اختلف العلماء في من هو ذو القرنين هل هو: الإسكندر المقدوني، أم ملك من ملوك حمير، أم كورش الأخميني أم غير ذلك، كما اختلفوا هل هو نبي أم مَلَك من الملائكة، أم عبد صالح، كما اختلفوا في سبب تسميته بذي القرنين. والأقرب. والله أعلم. أنه عبد صالح لا يعرف بالتحديد من هو لكن العبرة بأفعاله الحميدة، نشر دين الله وجاهد في سبيل الله فضرب على رأسه وشج شجتين فسمي ذا القرنين. عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وسألوه عن ذي القرنين أنبيًا كان؟ قال: كان عبدًا صالحًا أحب الله فأحبه، ونصح الله فنصحه، فبعثه الله إلى قومه فضربوه ضربتين في رأسه فسمي ذا القرنين، وفيكم اليوم مثله. انظر تفصيل ما سبق في: ذو القرنين القائد الفاتح والحاكم الصالح لمحمد خير رمضان ٢٥-٢٥٧، والمروي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في التفسير من سورة المائدة إلى سورة الناس، دراسة وتحقيق، رسالة لنيل درجة الماجستير، إعداد فهد الفاضل ٢/ ٥٦٥- ٥٧٥.

حول الآية:

قوله تعالى: ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾﴾، هذا ختام قول ذي القرنين بعد رحلاته المتعددة حيث بلغ مغرب الشمس من الأرض ومشرق الشمس من الأرض، ووصل في رحلته الثالثة إلى مكان يأجوج ومأجوج وبنى السد بين الجبلين لمنع إفساد يأجوج ومأجوج لغيرهم(١)، وقال هذا القول بعد الفراغ من بناء هذا السد العظيم، تأدبًا مع الله وتذكيرًا بموعود الله عز وجل(٢).

قوله تعالى: ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ﴾ القائل هو ذو القرنين رَحِمَهُ اللَّهُ، واسم الإشارة يعود إلى السد الذي بناه. قال ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ. فلما رأى ذو القرنين أن يأجوج ومأجوج لا يستطيعون أن يظهروا ما بني من الردم، ولا يقدرون على نقبه، قال: هذا الذي بنيته وسوّيته حاجزًا بين هذه الأمة، ومن دون الردم رحمة من ربي رحم بها من دون الردم من الناس، فأعانني برحمته لهم حتى بنيته وسوّيته ليكف بذلك غائلة هذه الأمة عنهم(٣).

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ﴾ [الكهف: ٩٨].

---

(١) راجع سورة الكهف، الآية: ٨٣- ٩٧.

(٢) انظر لمزيد تفصيل عن أحداث ذي القرنين: تفسير القرآن العظيم ٥/ ١٨٥- ١٩٦، وذو القرنين القائد الفاتح ٢٤٥- ٢٩٠.

(٣) تفسير الطبري ١٦/ ٢٧، وانظر زاد المسير ٥/ ١٩٤، ١٩٥، وتفسير القرآن العظيم ٥/ ١٩٥.

للمفسرين في ﴿وَعْدُ رَبِّي﴾ قولان:

قيل: وعد ربي بخروج يأجوج ومأجوج.

وقيل: مجيء يوم القيامة[١].

وكلا القولين صحيح لأن خروج يأجوج ومأجوج من علامات يوم القيامة الكبرى.

﴿جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ﴾ أي جعل الله السد مدكوكًا منبسطًا مستويًا بالأرض، وكل ما انبسط بعد ارتفاع فقد اندك[٢].

قرأ الكوفيون (دكاء) بمد الكاف وهمزة مفتوحة بعدها غير منونة.

وقرأ الباقون (دكًا) بمد الكاف من غير همز بعدها[٣].

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ أي الموعود به من اندكاك السد وخروج يأجوج ومأجوج، ومجيء يوم القيامة، كائن لا محالة[٤]. وهذا آخر قول ذي القرنين[٥].

---

(١) انظر زاد المسير ٥/ ١٩٥، وفتح القدير ٣/ ٣١٣، وتفسير التحرير والتنوير ١٦/ ٣٩.

(٢) انظر الكشاف ٢/ ٤٠٢، والتفسير الكبير ٢١/ ١٧٢، والبحر المحيط ٧/ ٢٢٨.

(٣) انظر البذور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة لعبد الفتاح القاضي ١٩٥.

(٤) انظر تفسير الطبري ١٦/ ٢٧، ومعالم التنزيل ٣/ ١٨٣، وتفسير القرآن العظيم ٥/ ١٩٥.

(٥) انظر: فتح القدير ٣/ ٣١٣.

قوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ الموج: الاضطراب[١] أي يوم يأتي وعد الله سبحانه النافذ بدك السد، يخرج يأجوج ومأجوج منه من كثرتهم يضطربون ويموجون في الناس، يفسدون عليهم ما استطاعوا إليه سبيلاً.

وقيل: إن المعنى يوم انتهى بناء السد اضطرب يأجوج بعضهم في بعض لكثرتهم من وراء السد.

وقيل: المقصود به عموم الخلائق يموجون حيارى يوم القيامة[٢].

والقول الأول - والله أعلم - أقرب لسياق الآيات الدالة على أن المتحدث عنه دك السد[٣].

قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾ قيل: المراد بالصور جمع صورة، أي يوم ينفخ فيها فتحيا.

قال ابن كثير رحمه الله: والصحيح أن المراد بالصور (القرن) الذي ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام، قال ابن جرير: والصواب عندنا ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إن إسرافيل قد**

---

(١) انظر: مفردات ألفاظ القرآن ٧٨٢.

(٢) انظر تفسير الطبري ٢٨/١٦، زاد المسير ٥/ ١٩٥، البحر المحيط ٢٢٨/٧.

(٣) قال الشنقيطي رحمه الله: وأظهر الأقوال في الجملة المقدرة التي عوض عنها تنوين (يومئذ) من قوله ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ أنه يوم إذ جاء وعد ربي بخروجهم وانتشارهم في الأرض. ولا ينبغي العدول عن هذا القول لموافقته لظاهر سياق القرآن العظيم. أضواء البيان ١٨١/٤، ١٨٢.

التقم الصور وحنى جبهته، ينتظر متى يؤمر فينفخ»[١][٢].

وهذه النفخة هي نفخة البعث، والقيام لرب العالمين[٣].

﴿فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا﴾ أي جمعنا جميع الخلق حينئذ لموقف الحساب جميعًا[٤].

٢- قال الله عز وجل: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ﴾ [الأنبياء: ٩٦-٩٧].

حول الآية:

لما حكم الله جل جلاله بأن كل قرية استوجبت الإهلاك والاستئصال في الدنيا على ما بدر منها، أنها لا ترجع إلى الدنيا مرة أخرى[٥]، إلى يوم القيامة الذي يكون فيه جمع جميع

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه دون ذكر اسم الملك، انظر سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الزمر ٥/ ٣٧٠، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ٣/ ١٠٠، وانظر تفسير الطبري ١١/ ٤٦٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٣/ ٢٧٦.

(٣) زاد المسير ٥/ ١٩٦.

(٤) تفسير الطبري ١٦/ ٣٠.

(٥) للمفسرين في تأويل قوله تعالى: ﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾﴾ عدة أقوال اختار ابن كثير هذا القول، وذكر أنه الأظهر. تفسير القرآن العظيم ٥/ ٣٦٦، ٣٦٧، وانظر هذه الأقوال أيضًا عن: الطبري في تفسيره ١٧/ ٨٦، ٨٧، وابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ٣٨٧، ٣٨٨، والشوكاني في فتح القدير ٣/ ٤٢٦. وغيرهم.

الخلائق، وعلامة قرب هذا اليوم خروج يأجوج ومأجوج[١]، كما قال الله تعالت قدرته: ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [الأنبياء: ٩٥-٩٧].

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾.

(حتى) حرف ابتداء، وهي متعلقة بحرام[٢]، لأن امتناع رجوع من أهلكهم الله عز وجل لا يزول حتى تقوم الساعة، وجواب الشرط في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ﴾ محذوف تقديره: فحينئذ يبعثون[٣].

(فتحت) قرأ ابن عامر (فُتِّحت) بتشديد التاء، وقرأ الباقون (فتِحت) بتخفيف التاء[٤].

والمعنى: فتح سد يأجوج ومأجوج[٥].

قوله تعالى: ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾.

---

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن ١١/ ٣٤٢.

(٢) في قوله تعالى: ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾﴾ [الأنبياء: ٩٥].

(٣) انظر الكشاف ٣/ ٢١، والبحر المحيط ٧/ ٤٦٧.

(٤) انظر كتاب السبعة في القراءات ٤٣١.

(٥) سوف يمر الكلام إن شاء الله عن يأجوج ومأجوج، ص١٠٠.

وهم أي يأجوج ومأجوج، قاله جمهور المفسرين، وقيل: (هم) تعود إلى جميع الناس يوم البعث والنشور، والأقرب قول الجمهور لسياق الآية الذي يدل عليه، ولأنه أقرب مذكور[١].

والحدب: ما ارتفع من الأرض[٢]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: من كل شرف يقبلون[٣].

وينسلون: أي يسرعون، والنسلان مشية الذئب إذا أسرع[٤].

قوله تعالى: ﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ﴾ المراد بالوعد الحق يوم القيامة[٥].

قال الإمام ابن جرير رحمه الله: حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج، اقترب الوعد الحق، وذلك وعد الله الذي وعد عباده أنه يبعثهم من قبورهم للجزاء والثواب والعقاب، وهو لا شك حق كما قال جل ثناؤه[٦].

---

(١) انظر زاد المسير ٥/ ٣٨٩، والتفسير الكبير ٢٢/ ٢٢٢.
(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن ١١/ ٣٤١، ومفردات ألفاظ القرآن ٢٢٢.
(٣) تفسير الطبري ١٧/ ٩١. وانظر معاني القرآن للفراء ٢/ ٢١١.
(٤) انظر مفردات ألفاظ القرآن ٨٠٣، وفتح القدير ٣/ ٤١٦.
(٥) انظر زاد المسير ٥/ ٣٨٩، تفسير القرآن العظيم ٥/ ٣٧٢، فتح القدير ٣/ ٤٢٧.
(٦) تفسير الطبري ١٧/ ٩٢.

وقيل (واقترب) جواب (إذا) في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ﴾(١)(٢).

٣- قال الباري سبحانه: ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ [محمد: ٤].

قال الإمام السيوطي رحمه الله: وأخرج ابن سعد وأحمد والنسائي والبغوي والطبراني وابن مردويه عن سلمة بن نفيل رضي الله عنه قال: بينما أنا جالس عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل فقال: يا رسول الله، إن الخيل قد سُيبت ووضع السلاح، وزعم أقوام أن لا قتال، وأن قد وضعت الحرب أوزارها، فقال رسول الله ﷺ: **«كذبوا فالآن جاء القتال، ولا تزال طائفة من أمتي يقاتلون في سبيل الله لا يضرهم من خالفهم، يزيغ الله قلوب قوم ليرزقهم منهم، ويقاتلون حتى تقوم الساعة، ولا تزال الخيل معقودًا في نواصيها الخير، حتى تقوم الساعة، ولا تضع**

---

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن ١١/ ٣٤٢.

(٢) ذكر الألوسي رحمه الله: أن جملة واقترب الوعد الحق عطف على (فتحت يأجوج)، انظر روح المعاني ١٧/ ٩٢.
وللقاسمي رحمه الله، تفسير غريب لما سبق، حيث فسر قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ قال: علم لكل أمة كثيرة العدد مختلفة من أجناس شتى. وفسر قوله تعالى: ﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ﴾ قال: أي طلعت طلائع النصر والقهر، ودحر الباطل والكفر. انظر محاسن التأويل ٧/ ٢٩٤، وهذا التفسير مخالف لقول المفسرين كما سبق.

الحرب أوزارها حتى يخرج يأجوج ومأجوج»[١][٢].

خروج يأجوج ومأجوج

- وردت كلمتا (يأجوج، ومأجوج) مرتين في القرآن الكريم، مرة في سورة الكهف في قوله تعالى ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾﴾ [الكهف: ٩٤]. ومرة في سورة الأنبياء في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأنبياء: ٩٦].

قرأ عامة القراء السبعة (ياجوج وماجوج) بألف بغير همزة،

---

(١) الدر المنثور ٧/ ٤٦٠، وانظر المعجم الكبير للطبراني ٧/ ٦١، ورجعت إلى مسند الإمام أحمد وغيره ﷺ ولم أجد ذكرًا ليأجوج ومأجوج، أخرج النسائي ﷺ عن سلمة بن نفيل الكندي قال: كنت جالسًا عند رسول الله ﷺ، فقال رجل: يا رسول الله، أذل الناس الخيل، ووضعوا السلاح، وقالوا: لا جهاد، قد وضعت الحرب أوزارها! فأقبل رسول الله ﷺ بوجهه، وقال: «**كذبوا، الآن جاء القتال، ولا يزال من أمتي أمة يقاتلون على الحق، ويزيغ الله لهم قلوب أقوام ويرزقهم منهم حتى تقوم الساعة، وحتى يأتي وعد الله، والخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، وهو يوحي إليّ أني مقبوض غير مُلبّث، وأنتم تتبعوني أفنادًا، يضْرب بعضكم رقاب بعض، وعقر دار المؤمنين الشام**». سنن النسائي كتاب الخيل والسبق والرمي، انظر صحيح سنن النسائي ٢/ ٧٥٦ وانظر مسند الإمام أحمد ٤/ ١٠٤، والطبقات الكبرى لابن سعد ٧/ ٤٢٧، وكتاب التاريخ الكبير للبخاري ٤/ ٧٠، وكنز العمال ٤/ ٤٥١، ٤٥٣.

(٢) سبق الكلام على هذه الآية ص ٩٢.

وقرأها عاصم بن أبي النجود بالهمزة[١].

قال ابن منظور: يأجوج ومأجوج: قبيلتان من خلق الله، جاءت القراءة فيهما بهمز وغير همز - إلى أن قال - وهما اسمان أعجميان، واشتقاق مثلهما من كلام العرب يخرج من أجّت النار، ومن الماء الأجاج وهو الشديد الملوحة، المحرق من ملوحته، قال: ويكون التقدير في يأجوج: يفعول، وفي مأجوج: مفعول، كأنه من أجيج النار، قال: ويجوز أن يكون يأجوج فاعولاً، وكذلك مأجوج، قال: وهذا لو كان الاسمان عربيين، لكان هذا اشتقاقهما، فأما الأعجمية فلا تشتق من العربية[٢].

ويأجوج ومأجوج من ذرية آدم عليه السلام[٣]، ففي الحديث المتفق

---

(١) انظر تفسير الطبري ١٦/١٦، وكتاب التبصرة في القراءات السبع ٥٨١.

(٢) لسان العرب ١/ ٣١. وانظر كتاب العين للفراهيدي ٦/ ١٩٨، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٥٥، ٥٦، وذو القرنين القائد الفاتح ٢٩٥.

(٣) ذكر النووي رحمه الله عن كعب الأحبار أن يأجوج ومأجوج من ولد آدم من غير حواء. قال: وذلك أن آدم عليه السلام احتلم فامتزجت نطفته بالتراب فخلق الله تعالى منها يأجوج ومأجوج والله أعلم. انظر شرح صحيح مسلم ٣/ ٩٨. ورد ابن كثير رحمه الله هذا القول فقال: وهذا مما لا دليل عليه، ولم يرد عمن يجب قبول قوله في هذا، والله أعلم. البداية والنهاية ١٩/ ٢٣٩، وانظر تفسير القرآن ٥/ ١٩١.
وقال ابن حجر رحمه الله رادًا على من زعم أن يأجوج ومأجوج ليسوا من أولاد حواء: ولم نر هذا عن أحد من السلف إلا عن كعب الأحبار، ويرده الحديث المرفوع أنهم من ذرية نوح، ونوح من ذرية حواء قطعًا. فتح الباري ١٣/ ١٠٧. وانظر التذكرة للقرطبي ٧٨٤، والإشاعة لأشراط الساعة ٣١٦، ٣١٧.

عليه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**يقول الله تعالى: يا آدم. فيقول: لبيك وسعديك، والخير في يديك. فيقول: أخرج بعث النار. قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين. فعنده يشيب الصغير، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سُكارى وما هم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد. قالوا: يا رسول الله، وأينا ذلك الواحد؟ قال: أبشروا فإن منكم رجلاً ومن يأجوج ومأجوج ألف...**»[(١)].

وفي رواية عند البخاري رحمه الله: «**إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثًا إلى النار...**»[(٢)].

قال ابن كثير رحمه الله: وهم من ذرية نوح عليه السلام - إلى أن قال - وهم كالناس يشبهونهم كأبناء جنسهم من الترك الغُتْم[(٣)]، المغول المخرزمة عيونهم[(٤)]، الذُّلف أنوفهم[(٥)]، الصهب شعورهم[(٦)]،

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء، باب قصة يأجوج ومأجوج. انظر فتح الباري ٦/ ٣٨١. ومسلم في كتاب الإيمان، باب قوله: (يقول الله لآدم أخرج بعث النار... صحيح مسلم ١/ ٢٠١.

(٢) أخرجه البخاري كتاب التفسير، باب (وترى الناس سكارى). انظر فتح الباري ٨/ ٤٤١.

(٣) الغتمة: العُجمة، والأغتم: الذي لا يفصح شيئًا. مختار الصحاح ٤٦٩.

(٤) المخرزمة عيونهم، قال محقق البداية والنهاية، لعلها (المخزورة) من الخزر: وهو ضيق العين وصغرها.. البداية والنهاية ١٩/ ٢٣٩.

(٥) الذُّلف أنوفهم: أي قصار الأنوف مع صغرها. انظر لسان العرب ٣/ ١٥١١.

(٦) الصهب شعورهم: هي الحمرة أو الشقرة في الشعر. انظر ترتيب القاموس المحيط ٢/ ٨٦٢.

على أشكالهم وألوانهم، ومن زعم أن منهم الطويل كالنخلة السحوق[١] وأطول، ومنهم القصير كالشيء الحقير، ومنهم من له أذنان يتغطى بإحداهما ويتوطأ بالأخرى، فقد تكلف ما لا علم له به، وقال ما لا دليل عليه...[٢]. وفي المسند مرفوعًا «... **يأتي يأجوج ومأجوج عراض الوجوه، صغار العيون، صهب الشعاف**[٣]**، من كل حدب ينسلون كأن وجوههم المجان المطرقة**»[٤]. ففي هذا الحديث وصفهم بأوصاف الناس المعروفة.

بناء السد:

ورد في القرآن الكريم ذكر سبب بناء السد الذي حصر يأجوج ومأجوج داخله فما استطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبًا، وبذلك سلم الناس من شرهم وأذاهم؛ إلى الأجل الذي كتب الله عز وجل في علمه أن يصمد هذا السد من نقبهم، فإذا جاء الأجل المكتوب نقبوه وخرجوا منه يعيثون في الأرض فسادًا.

---

(١) النخلة السحوق: أي الطويلة التي بعد ثمرها على المجتني. انظر لسان العرب ٣/١٩٥٦.

(٢) البداية والنهاية ١٩/٢٣٩، ٢٤٠.

(٣) صهب الشعاف: الشقرة في شعر الرأس. انظر لسان العرب ٤/٢٥١٣.

(٤) مسند الإمام أحمد ٥/ ٢٧١. قال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني، ورجالهما رجال الصحيح، مجمع الزوائد ٨/ ٦.

قال الله عز وجل واصفًا بناء السد: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾﴾ [الكهف: ٩٣-٩٨].

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله: قال المفسرون: ذهب - أي ذو القرنين - متوجهًا من المشرق، قاصدًا للشمال، فوصل إلى ما بين السدين، وهما سدان، كانا معروفين في ذلك الزمان. سدان من سلاسل الجبال، المتصلة يمنة ويسرة حتى تتصل بالبحار، بين يأجوج ومأجوج وبين الناس.

وجد من دون السدين قومًا، لا يكادون يفقهون قولا، لعجمة ألسنتهم، واستعجام أذهانهم وقلوبهم.

وقد أعطى الله ذا القرنين، من الأسباب العلمية، ما فقه به ألسنة أولئك القوم، وفقههم، وراجعهم، وراجعوه. فاشتكوا إليه ضرر يأجوج ومأجوج، وهما: أمتان عظيمتان من بني آدم فقالوا: ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالقتل وأخذ الأموال وغير ذلك ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾ أي جُعْلاً ﴿عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ

سَدًّا﴾ ودل ذلك على عدم اقتدارهم بأنفسهم على بنيان السد، وعرفوا اقتدار ذي القرنين عليه، فبذلوا له أجرة، ليفعل ذلك، وذكروا له السبب الداعي، وهو: إفسادهم في الأرض. فلم يكن ذو القرنين ذا طمع، ولا رغبة في الدنيا، ولا تاركًا لإصلاح أحوال الرعية، بل قصده الإصلاح، فلذلك أجاب طلبهم، لما فيها من المصلحة، ولم يأخذ منهم أجرة، وشكر ربه على تمكينه واقتداره، فقال لهم: ﴿مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ أي: مما تبذلون لي وتعطوني، وإنما أطلب منكم أن تعينوني بقوة منكم بأيديكم ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ أي: مانعًا من عبورهم عليكم ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾ أي: قطع الحديد، فأعطوه ذلك.

﴿حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾ أي: الجبلين اللذين بني بينهما السد ﴿قَالَ انفُخُوا﴾ أي: أوقدوها إيقادًا عظيمًا، واستعملوا لها المنافيخ، لتتقد، فتذيب النحاس. فلما ذاب النحاس، الذي يريد أن يلصقه بين زبر الحديد ﴿قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ أي: نحاسًا مذابًا. فأفرغ عليه القطر، فاستحكم السد استحكامًا هائلاً، وامتنع به من وراءه من الناس، من ضرر يأجوج ومأجوج. . .[1].

وهذا السد باقٍ إلى الآن، وفي هده خروج يأجوج ومأجوج

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ٥/ ٧٦- ٧٨. وانظر كذلك في معنى الآيات تفسير الطبري ١٦/ ١٥-٢٨، وتفسير القرآن العظيم ٥/ ١٩١-١٩٦، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٥٥-٦٤.

وهذا يكون في آخر الزمان[١]، ولا عبرة بمن أنكر وجوده اليوم، بادعائه بإحاطة العلماء اليوم بما معهم من علوم وأجهزة بكل الأرض. لأن الله عز وجل إذا أراد شيئًا فلا راد له، وفي كل وقت يتضح قصور العلماء عن الإحاطة بالأرض وما فيها ومن فيها[٢].

قال الشيخ التويجري رحمه الله: وقد اختلف أقوال العصريين في يأجوج ومأجوج فبعضهم ينكرون وجودهم بالكلية وينكرون وجود السد الذي جعله ذو القرنين بينهم وبين الناس. ومستندهم في ذلك ما يزعمه بعض الدول في هذه الأزمان أن السائحين منهم قد اكتشفوا الأرض كلها، فلم يروا يأجوج ومأجوج، ولم يروا سد ذي القرنين. وهذا في الحقيقة تكذيب بما أخبر الله به في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ عن السد ويأجوج ومأجوج. . . [٣].

وقد خاض بعض المفسرين في طول هذا السد وعرضه، ولا دليل من نقل أو نظر يحدد طول السد وعرضه، فنكل علمه إلى عالمه سبحانه وتعالى. وكذلك نكل تحديد موقعه إلى من لا

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله: وهذا كله . أي خروج يأجوج ومأجوج . قبل يوم القيامة وبعد الدجال. تفسير القرآن العظيم ٥/ ١٩٥.

(٢) انظر في ظلال القرآن ٤/ ٢٢٩٣، وإتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة ٢/ ٢٩٢- ٢٩٨.

(٣) اتحاف الجماعة ٢/ ٢٩٢ .

تخفى عليه خافية[١].

خروج يأجوج ومأجوج:

وخروجهم ثابت بالكتاب والسنة والإجماع فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأنبياء: ٩٦].

وأما السنة فالأحاديث في خروجهم كثيرة منها: حديث النواس بن سمعان ﷺ مرفوعًا، وفيه: «**فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى: إني قد أخرجت عبادًا لي، لا يدان لأحد بقتالهم. فحرز عبادي إلى الطور، ويبعث الله يأجوج ومأجوج. وهم من كل حدب ينسلون. فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية. فيشربون ما فيها. ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه، مرة ماء...**»[٢].

وفي المسند عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول يفتح يأجوج ومأجوج يخرجون على الناس كما قال الله عز وجل من كل حدب ينسلون فيغشون الأرض وينحاز المسلمون عنهم إلى مدائنهم وحصونهم، ويضمون إليهم مواشيهم، ويشربون مياه الأرض، حتى إن بعضهم ليمر

---

(١) انظر ذو القرنين القائد الفاتح والحاكم الصالح ٣٣١- ٣٥٢.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال ٤/ ٢٢٥٣.

بالنهر فيشربون ما فيه حتى يتركوه يبسًا حتى إن من بعده ليمر بذلك النهر فيقول: قد كان ههنا ماء مرة. حتى إذا لم يبق من الناس إلا أحد في حصن أو مدينة. قال قائلهم: هؤلاء أهل الأرض قد فرغنا منهم بقي أهل السماء. قال: ثم يهز أحدهم حربته ثم يرمي بها إلى السماء فترجع مخضبة دمًا للبلاء والفتنة. . . »[1].

وفي المسند أيضًا عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: (إن يأجوج ومأجوج ليحفرون السد كل يوم حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم ارجعوا فستحفرونه غدًا فيعودون إليه كأشد ما كان حتى إذا بلغت مدتهم وأراد الله عز وجل أن يبعثهم إلى الناس حفروا حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غدًا إن شاء الله، ويستثني فيعودون إليه وهو كهيئته حين تركوه فيحفرونه ويخرجون على الناس، فينشفون المياه، ويتحصن الناس منهم في حصونهم فيرمون بسهامهم إلى السماء فترجع وعليها كهيئة الدم فيقولون:

---

(١) مسند الإمام أحمد ٣/ ٧٧، وأخرجه ابن ماجه في أبواب الفتن، باب فتنة الدجال، وخروج يأجوج ومأجوج، سنن ابن ماجه ٢/ ٤٠١، والحاكم في المستدرك وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. مستدرك الحاكم ٤/ ٤٨٩، ٤٩٠، وقال البوصيري: هذا إسناد صحيح رجاله ثقات... مصباح الزجاجة ٣/ ٢٦٠.
وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه ٢/ ٣٨٧، وحسنه شعيب الأرنؤوط في مسند الإمام أحمد ١٨/ ٢٥٨.

قهرنا أهل الأرض، وعلونا أهل السماء...)[١].

قال السفاريني رحمه الله في خروج يأجوج ومأجوج في آخر الزمان: وهو ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة[٢].

تبين مما سبق أن خروج يأجوج ومأجوج حق، وأنه يكون بعد نزول عيسى عليه السلام في حياته، وخروجهم يكون بنقب السد ودكه، وفي خروجهم تكون فتنة وبلاء عظيم على المسلمين في ذلك الزمان، نسأل الله السلامة والعافية من كل بلاء وفتنة.

نهاية يأجوج ومأجوج:

اتفقت الأحاديث السابقة في تتماتها على أن نهاية يأجوج ومأجوج تكون بداء (النغف)[٣] الذي يصيبهم فيموتون كلهم، وذلك بعد دعاء نبي الله عيسى عليه السلام ومن معه ربهم أن يرفع عنهم هذا البلاء والفتنة التي حصرتهم في جبل الطور.

---

(١) مسند الإمام أحمد ٢/ ٥١٠، ٥١١، وأخرجه ابن ماجه في أبواب الفتن، باب فتنة الدجال وخروج يأجوج ومأجوج، سنن ابن ماجه ٢/ ٤٠٢، والحاكم في المستدرك، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الصحيحين ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. مستدرك الحاكم ٤/ ٤٨٨. وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه ٢/ ٣٨٨، وصححه شعيب الأرنؤوط في مسند الإمام أحمد ١٦/ ٣٧٠.

(٢) لوامع الأنوار البهية ٢/ ١١٤، وانظر كذلك الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة ١٣٤.

(٣) النغف: دود يكون في أنوف الإبل والغنم يصيبها بالمرض والهلاك.
انظر: أساس البلاغة للزمخشري ٤٦٥، والنهاية في غريب الحديث ٥/ ٨٧.

ففي حديث النواس بن سمعان ﷺ مرفوعًا وفيه: «**. . . ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه، حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرًا من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه، فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم، فيصبحون فرسي[١] كموت نفس واحدة، ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم[٢] ونتنهم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله، فيرسل الله طيرًا كأعناق البخت[٣]، فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله. . .**»[٤].

تحذير النبي ﷺ من فتنة يأجوج ومأجوج: لقد حذر النبي ﷺ وأنذر أمته من يأجوج ومأجوج وفتنتهم ففي الصحيحين من حديث زينب ابنة جحش ﷺ أن رسول الله ﷺ دخل عليها يومًا فزعًا يقول: «**. . . لا إله إلا الله، ويل للعرب[٥] من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه - وحلق بإصبعيه الإبهام والتي تليها**» قالت: زينب ابنة جحش فقلت: **يا رسول الله، أفنهلك وفينا الصالحون؟ قال «. . . نعم إذا كثر**

---

(١) فرسى: أي قتلى. انظر لسان العرب ٥/ ٣٣٧٩.

(٢) زهمهم: الزهم الريح المنتنة، أراد أن الأرض تنتن من جيفهم. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/ ٣٢٣.

(٣) البخت: هي الجمال طوال الأعناق. انظر لسان العرب ١/ ٢١٩.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال ٤/ ٢٢٥٣.

(٥) خص العرب بذلك لأنهم حينئذ معظم من أسلم. انظر فتح الباري ١٣/ ١٠٧.

الخبث»[١][٢].

قال ابن حجر رحمه الله: وكأنها - أي زينب بنت جحش رضي الله عنها - فهمت من فتح القدر المذكور من الردم أن الأمر إن تمادى على ذلك اتسع الخرق بحيث يخرجون، وكان عندها علم أن في خروجهم على الناس إهلاكًا عامًا لهم[٣]. نسأل الله تعالى السلامة والعافية من الفتن ما ظهر منها ما بطن.

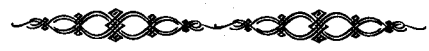

---

(١) الخبث: أي إذا كثر الفسق والفجور. انظر المعلم بفوائد مسلم ٣/٢٠٨.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الفتن، باب يأجوج ومأجوج. فتح الباري ١٣/١٠٦.
ومسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب اقتراب الفتن، صحيح مسلم ٤/٢٢٠٧.

(٣) فتح الباري ١٣/١٠٩.

المبحث الرابع

طلوع الشمس من مغربها

الآيات التي أشير إلى طلوعها من مغربها:

١- قال الله عز وجل: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأنعام: ١٥٨].

لما أخرج مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**. . . ثلاث إذا خرجت، لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض**»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**. . . لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون وذلك حين لا ينفع نفسًا إيمانها. ثم قرأ الآية**»(٢).

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان ١/ ١٣٨.

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب (لا ينفع نفسًا إيمانها). فتح الباري ٨/ ٢٩٧، ومسلم، في كتاب الإيمان، باب الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان. صحيح مسلم ١/ ١٣٧ .

وسبق الكلام على هذه الآية[١].

٢- قال الله تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾﴾ [يس: ٣٨].

لما في الصحيحين من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ لأبي ذر حين غربت الشمس: أتدري أين تذهب؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش، فتستأذن فيؤذن لها، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها، فيقال لها: ارجعي من حيث جئت، فتطلع من مغربها فذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾﴾ [يس: ٣٨][٢].

حول الآية: لما ذكر الله تعالى نعمته على عباده بالليل الذي يسلخ منه النهار[٣]، عطف على هذه النعمة الجليلة والآية المتكررة العظيمة بآية الشمس التي تجري فتحل الضياء بعد الظلام والمعاش بعد السبات[٤].

---

(١) انظر ص ٣٧.

(٢) أخرجه البخاري، في كتاب بدء الخلق، باب صفة الشمس والقمر، فتح الباري ٦/ ٢٩٧، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان، صحيح مسلم ١/ ١٣٨ .

(٣) كما في قوله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [يس: ٣٧].

(٤) انظر التفسير الكبير ٢٦/ ٧١.

قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى﴾ يحتمل أن تكون (الواو) للعطف على الليل، والتقدير: وآية لهم الشمس. ويجوز أن تكون (الواو) ابتدائية، والشمس مبتدأ، وما بعدها الخبر، ويكون الكلام مستأنفًا مشتملاً على ذكر آية مستقلة[١]. والجَرْي: المرُّ السريع[٢].

قوله تعالى: ﴿لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾[٣] أي إلى مستقرّها، والمستقر موضع القرار[٤].

وللمفسرين في المراد بهذا المستقر أقوال منها:

١- ذهب فريق منهم أن مستقر الشمس هو موضع قرارها تحت العرش كل يوم، مستدلين بحديث أبي ذر ﷺ السابق[٥]، في سجود الشمس تحت العرش واستئذانها في

(١) فتح القدير ٤/٣٦٩.
(٢) مفردات ألفاظ القرآن ١٩٤.
(٣) روي عن ابن مسعود وابن عباس ﷺ أنهما قرآ (لا مستقر لها) أي: أنها تجري في الليل والنهار لا وقوف لها ولا قرار. ورد أبو بكر الأنباري على من نقل هذه القراءة فقال: وهذا باطل مردود على من نقله، لأن أبا عمرو روى عن مجاهد عن ابن عباس، وابن كثير روى عن مجاهد عن ابن عباس: (والشمس تجري لمستقر لها) فهذان السندان عن ابن عباس اللذان يشهد بصحتهما الإجماع، يبطلان ما روي بالسند الضعيف، مما يخالف مذهب الجماعة، وما اتفقت عليه الأمة. ورد القرطبي على من احتج بهذه القراءة. انظر الجامع لأحكام القرآن ١٥/٢٨، ٢٩.
(٤) الجامع لأحكام القرآن ١٥/٢٩.
(٥) انظر الحديث في الصفحة السابقة.

الطلوع...[1].

٢- وقال آخرون: المعنى تجري إلى أبعد منازلها في الغروب، ثم ترجع إلى أدنى منازلها، فمستقرها بلوغها الموضع الذي لا تتجاوزه بل ترجع منه.

٣- وذهب آخرون، إلى أن مستقرها مغربها كل يوم لا تتجاوزه، ولا تقصر عنه.

---

(١) الذي يريد أن يعرف كنه كل شيء بعقله القاصر، لا يمكن أن يستوعب فهم هذا الحديث، وهو يعلم يقينًا أن هذه الشمس إذا غربت في مكان فهي طالعة في مكان آخر، وهكذا هي. فكيف تسجد تحت العرش؟
لكن المؤمن بقدرة الله على كل شيء، وأن الله عز وجل خلق كل شيء وهداه إلى سنن ونواميس خاصة به لا تشاركه فيها كثير من المخلوقات، يؤمن يقينًا بسجود الشمس وغيرها من المخلوقات على الصفة الخاصة بها في علم الله - عز وجل - لكننا لا نعرف هذه الكيفية والصفة، وفي التنزيل الحكيم ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾﴾ [النور: ٤١]. وقال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الحج: ١٨].
قال النووي: وأما سجود الشمس فهو بتميز وإدراك بخلق الله تعالى فيها. صحيح مسلم بشرح النووي ٢/ ١٩٧.
وقال ابن العربي: أنكر قوم سجودها وهو صحيح ممكن. فتح الباري ٦/ ٢٩٩.
وانظر تفسير الطبري ١٧/ ١٣٠. وانظر رد الشيخ التويجري رحمه الله على من أنكر سجود الشمس. إتحاف الجماعة ٢٣٢٠ . ٣٢٣.

٤- ومال فريق، إلى أن مستقرها يوم القيامة عند انقضاء الدنيا وانتهاء أمد الشمس[١].

وكل هذه الأقوال صحيحة مقبولة معقولة وهي مختلفة اختلاف تنوع لا تضاد.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾ [الأنعام: ٩٦] أي أن جريان الشمس ليس بإرادتها وإنما ذلك بإرادة الله عز وجل وتقديره وتدبيره وتسخيره إياها[٢]، وختم سبحانه وتعالى الآية بصفتي العزة والعلم، لمناسبتهما للآية، فالعزة تناسب تسخير هذا الكوكب العظيم، والعلم يناسب هذا النظام البديع الدقيق في منازل الشمس وحركتها[٣].

٣- قال الله عز وجل: ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ ۝٩﴾ [القِيَامَة: ٩].

قال السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ: وأخرج سعيد بن منصور والفريابي وعبد ابن حميد وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والطبراني عن ابن مسعود: ﴿يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨] قال: طلوع الشمس والقمر من مغربهما مقترنين[٤] كالبعيرين القرينين، ثم قرأ: ﴿وَجُمِعَ

---

(١) انظر تفسير الطبري ٢٣/ ٥، ٦، وزاد المسير ٧/ ١٧-١٩، والتفسير الكبير ٢٦/ ٧١، ٧٢ والجامع لأحكام القرآن ١٥/ ٢٨، ٢٩، وتفسير القرآن العظيم ٦/ ٥٦٣.

(٢) انظر التفسير الكبير ٢٦/ ٧٢.

(٣) انظر تفسير التحرير والتنوير ٢٣/ ٢١.

(٤) قال ابن فارس: القاف والراء والنون، أصلان صحيحان، أحدهما يدل على جمع شيء إلى شيء... معجم مقاييس اللغة ٥/ ٧٦.

﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝٩﴾[١].

وفي المستدرك عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه في قوله عز وجل: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾ [الأنعام: ١٥٨]. قال: طلوع الشمس من مغربها ثم قرأ هذه الآية: (وجمع الشمس والقمر يقول الإنسان يومئذ أين المفر)[٢].

قال الطبري رحمه الله: وقوله: ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ يقول تعالى ذكره: وجمع بين الشمس والقمر في ذهاب الضوء، فلا ضوء لواحد منهما، وهي في قراءة عبدالله[٣] فيما ذكر لي (وجمع بين الشمس والقمر)، وقيل: إنهما يجمعان ثم يكوران...[٤].

قلت: فيكون ابن مسعود رضي الله عنه فسر قوله تعالى: ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ

---

(١) الدر المنثور ٣/ ٣٨٩، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، دون ذكر، ثم قرأ: (وجمع الشمس والقمر). المعجم الكبير ٩/ ٢٣٧، قال الهيثمي بعد أن ساق رواية الطبراني قال: رواه الطبراني، من طريقين إحداهما هذه، وفيها عبدالله بن محمد بن سعيد بن أبي مريم وهو ضعيف، والأخرى مختصرة ورجالها ثقات. مجمع الزوائد ٧/ ٢٢.

(٢) مستدرك الحاكم ٢/ ٥٠٩، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي، وساق البرزنجي عن ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما رواية طويلة غريبة في قوله تعالى: (وجمع الشمس والقمر). انظر الإشاعة لأشراط الساعة ٣٤٣.

(٣) هو ابن مسعود رضي الله عنه.

(٤) تفسير الطبري ٢٩/ ١٨٠، وانظر زاد المسير ٨/ ٤١٩.

﴿وَٱلْقَمَرُ﴾ أي جمع ذاتيهما وطلوعهما من المغرب إيذانًا بقرب يوم القيامة وعلامة من علاماتها الكبرى، عند ذلك: ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨].

٤- قال الله عز من قائل: ﴿قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

قال القرطبي رحمه الله: وقيل: إن الحكمة في طلوع الشمس من مغربها أن إبراهيم عليه السلام قال لنمروذ: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، وأن الملحدة والمنجمة عن آخرهم ينكرون ذلك ويقولون: هو غير كائن. فيطلعها الله تعالى يومًا من المغرب ليُري المنكرين قدرته أن الشمس في ملكه، إن شاء أطلعها من المشرق، وإن شاء أطلعها من المغرب[1].

طلوع الشمس من مغربها:

خلق الله عز وجل الشمس، وأجراها وفق سنة إلهية عظيمة حيث تشرق على الأرض من مشرقها، وتغرب من مغرب الأرض، فإذا دنت الساعة واقترب يوم القيامة، فإن الله عز وجل يطلع الشمس من مغربها، وهذا إيذان بالساعة، وعلامة من

(١) الجامع لأحكام القرآن ٧/ ١٤٧، ١٤٨. والتذكرة ٧٩٤. ولم أجد هذا القول لغير القرطبي. فالله أعلم.

علاماتها الكبار عند ذلك ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾[١].

قال ابن عطية رحمه الله: وقال جمهور أهل التأويل - كما تقدم - الآية التي لا تنفع التوبة من الشرك أو المعاصي بعدها، هي طلوع الشمس من المغرب[٢] وقال السفاريني رحمه الله: قال العلماء رحمهم الله تعالى: طلوع الشمس من مغربها ثابت بالسنة الصحيحة والأخبار الصريحة، بل وبالكتاب المنزل على النبي المرسل...[٣].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون، وذلك حين لا ينفع نفسًا إيمانها. ثم قرأ الآية**»[٤] قال ابن كثير رحمه الله: فهذه الأحاديث المتواترة، مع الآية الكريمة، دليل على أن من أحدث إيمانًا، أو توبة بعد طلوع الشمس من مغربها لا تقبل منه، وإنما كان كذلك - والله أعلم - لأن ذلك

---

(١) سورة الأنعام، الآية: [١٥٨]. قال ابن كثير رحمه الله في معنى الآية: أي إذا أنشأ الكافر إيمانًا يومئذ لا يقبل منه، فأما من كان مؤمنًا قبل ذلك، فإن كان مصلحًا في عمله فهو بخير عظيم، وإن كان مخلطًا فأحدث توبة حينئذ لم تقبل منه توبته... تفسير القرآن العظيم ٣/ ٣٧١.

(٢) المحرر الوجيز ٦/ ١٨٨.

(٣) لوامع الأنوار البهية ٢/ ١٣٣.

(٤) انظر أول طلوع الشمس من مغربها.

من أكبر أشراط الساعة وعلاماتها الدّالة على اقترابها ودنوها، فعومل ذلك الوقت معاملة يوم القيامة...[١].

والصحيح: أن عدم نفع الإيمان أو التوبة إذا طلعت الشمس من مغربها ليس مختصًا بيوم الطلوع[٢]، بل هو مستمر إلى يوم القيامة، فعن صفوان بن عسال رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن بالمغرب بابًا مفتوحًا للتوبة، مسيرته سبعون سنة، لا يغلق حتى تطلع الشمس من نحوه[٣].

قال ابن حجر رحمه الله بعد أن ساق عددًا من الآثار التي تبين عدم قبول التوبة بعد طلوع الشمس من مغربها، قال: فهذه آثار يشد بعضها بعضًا متفقة على أن الشمس إذا طلعت من المغرب

---

(١) البداية والنهاية ١٩/ ٢٦٣.

(٢) ذكر أن صفة طلوع الشمس من مغربها يكون بأن تطلع الشمس من المغرب في ذلك اليوم، ولا تزال طالعة إلى أن تصل إلى كبد السماء، ثم تزول وتعود إلى المغرب، وتطلع بعد ذلك اليوم من المشرق كعادتها، والله أعلم. انظر الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة ١٣٧، ١٣٨، وانظر التذكرة ٧٩٣.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ٤/ ٢٤١، والترمذي في سننه كتاب الدعوات، باب في فضل التوبة، وقال: حديث حسن صحيح. سنن الترمذي ٥/ ٥٤٥، وابن ماجه في أبواب الفتن، باب طلوع الشمس من مغربها، سنن ابن ماجه ٢/ ٣٩٦، وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه ٢/ ٣٨٢، وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره. مسند الإمام أحمد تحقيق شعيب الأرنؤوط ٣٠/ ١٧.

أغلق باب التوبة ولم يفتح بعد ذلك، وأن ذلك لا يختص بيوم الطلوع بل يمتد إلى يوم القيامة. . .[١].

(١) فتح الباري ١١/ ٣٥٥. قال أبو الليث السمرقندي: وروي عن عمران بن حصين أنه قال: إنما لم تقبل وقت الطلوع حتى تكون صيحة فيهلك كثير من الناس، فمن أسلم أو تاب في ذلك الوقت وهلك لم يقبل منه، ومن تاب بعد ذلك قبلت منه. تفسير القرآن الكريم (بحر العلوم) ٣/ ٣٦٧. قال ابن حجر: حديث عمران لا أصل له. فتح الباري ١١/ ٣٥٤، وانظر استمرار غلق باب التوبة في: الإشاعة لأشراط الساعة ٣٤٨.

المبحث الخامس

الدابـــــة

الآيات التي أشير إليها فيها:

١- قال الله جل في علاه: ﴿۞وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [النَّمل: ٨٢].

حول الآية:

لما بين الله أن رسوله ﷺ على الحق المبين، وأن عدم إيمان الكافرين سببه إعراضهم عن الحق المبين فهم كالموتى والصم والعمي، أخبر الله عز وعلا بالمفاجأة التي تنتظرهم والآية العظيمة التي تبين لهم صحة قول الرسول الكريم وقرب يوم البعث والنشور(١).

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ الفعل الماضي ﴿ٱلْقَوْلُ﴾ مع ﴿وَإِذَا﴾ ينقلب إلى المستقبل. والتعبير عن وقوع القول بصيغة

---

(١) قال تعالى: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَـٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَـٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ۞وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [النَّمل: ٧٩-٨٢]

الماضي لتقريب زمن الوقوع، أي أشرف وقوعه وقرب[١].

ومعنى وقع: أي وجب، والقول، المراد به مضمونه، أو أطلق المصدر على المفعول: أي المقول[٢]. وقيل المعنى: وجب الغضب عليهم وقيل: حق القول عليهم بأنهم لا يؤمنون، وقيل: حق العذاب عليهم[٣]، قال القرطبي رحمه الله: وجميع الأقوال عند التأمل ترجع إلى معنى واحد. والدليل عليه آخر الآية...[٤].

قوله تعالى: ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ﴾ الدابة اسم لما دبَّ من الحيوان[٥]، وورد في وصف هذه الدابة التي يخرجها الله جل جلاله قرب يوم القيامة من الأرض علامة على قرب هذا اليوم الموعود، ورد في وصفها أقوال كثيرة، وصفات متعددة متكلفة[٦]، ينقصها الدليل، وهي غيب مستور لم ينطق الشرع فيها بوصف، وفي إبهامها تفخيم لشأنها[٧].

قال أبو حيان رحمه الله: واختلفوا في ماهيتها، وشكلها، ومحل خروجها، وعدد خروجها، ومقدار ما تخرج منها، - إلى أن

---

(١) انظر تفسير التحرير والتنوير ٢٠/ ٣٨.
(٢) انظر: فتح القدير ٤/ ١٥١.
(٣) انظر: تفسير الطبري ٢٠/ ١٣، وزاد المسير ٦/ ١٩١.
(٤) الجامع لأحكام القرآن ١٣/ ٢٣٥.
(٥) انظر: لسان العرب ٢/ ١٣١٤، ومفردات ألفاظ القرآن ٣٠٦.
(٦) انظر زاد المسير ٦/ ١٩٠، ١٩١، والجامع لأحكام القرآن ١٣/ ٢٣٥.
(٧) انظر فتح البيان في مقاصد القرآن ١٠/ ٧١.

قال -: فاطرحنا ذكره، لأن نقله تسويد للورق بما لا يصح، وتضييع لزمان نقله[١].

قوله تعالى: ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ قال الطبري رحمه الله: واختلفت القرّاء في قراءة قوله (تُكلِّمهم) فقرأ ذلك عامة قرّاء الأمصار (تُكِّلمهم) بضم التاء وتشديد اللام، بمعنى تخبرهم وتحدثهم[٢]، وقرأة أبو زرعة بن عمرو (تَكْلِمُهُمْ) بفتح التاء وتخفيف اللام بمعنى: تسمهم.

والقراءة التي لا أستجيز غيرها في ذلك ما عليه قراء الأمصار[٣].

وقال أبو حيان رحمه الله: وقيل معنى تُكلِّمهم: تجرحهم من الكلم، والتشديد للتكثير، ويؤيده قراءة ابن عباس ومجاهد، وابن جبير. . .[٤].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سُئل: تكلِّمهم أو تكْلِمُهُم، قال: كل ذلك والله تفعل تكلم المؤمن، وتكلم الكافر. تجرحه[٥]. قال

---

(١) البحر المحيط في التفسير ٨/ ٢٦٩.
(٢) ورد في كلام الدابة للناس أقوال منها:
أ. تقول لهم: (أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون).
ب. تكلمهم ببطلان الأديان سوى دين الإسلام.
ج. تكلمهم تقول: هذا مؤمن، وهذا كافر. انظر زاد المسير ٦/ ١٩٣.
(٣) تفسير الطبري ٢٠/ ١٦.
(٤) البحر المحيط في التفسير ٨/ ٢٦٩.
(٥) انظر الدر المنثور في التفسير المأثور ٦/ ٣٧٨.

ابن كثير رحمه الله تعليقًا على رواية ابن عباس رضي الله عنهما في أن الدابة تخاطبهم وتجرحهم، قال: وهذا القول ينتظم المذهبين، وهو قوي حسن جامع لهما، والله أعلم[١].

وقوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ قرأ عاصم، وحمزة، والكسائي (أن الناس) بفتح الألف، بمعنى تكلمهم بأن الناس، فيكون (أن الناس) منصوبة لوقوع الكلام عليها.

وقرأ الباقون: (إن الناس) بالكسر على الاستئناف، وجعلوا الكلام عند قوله (تكلمهم) تامًا[٢] واحتمل كسر (إن) أن تكون الجملة من كلام الله عز وجل[٣].

والمراد بالناس في الآية قيل هم عامة الناس، وقيل هم الكفار خاصة[٤]، وهو الأقرب لأنهم هم الذين لا يوقنون بآيات الله[٥]، واليقين نقيض الشك[٦]. فهم في شك وتكذيب مما أخبر به القرآن ووعد من البعث والحساب والعقاب . . . إلخ[٧].

٢- قال الله جل جلاله وتقدست أسماؤه: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ

---

(١) البداية والنهاية ١٩/ ٢٤٧.
(٢) انظر تفسير الطبري ٢٠/ ١٦، وحجة القراءات لابن زنجلة ٥٣٨.
(٣) انظر البحر المحيط في التفسير ٨/ ٢٦٩.
(٤) انظر فتح البيان في مقاصد القرآن ١٠/ ٧٣.
(٥) ٦/ ٤٩٦٤. انظر الجامع لأحكام القرآن ١٣/ ٢٣٨.
(٦) انظر لسان العرب ٦/ ٤٩٦٤.
(٧) انظر فتح البيان في مقاصد القرآن ١٠/ ٧٣.

أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ [الأنعام: ١٥٨].

لما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاث إذا خرجن، لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض**»[(١)].

وقد سبق الكلام على الآية عند الآيات التي تحدثت عن الدجال[(٢)].

الدابة

من أشراط الساعة الكبرى وعلاماتها العظمى الدابة التي تخرج على الناس: آية من آيات الله، وهي: مرادفة لطلوع الشمس من مغربها. ففي الصحيح عن عبدالله بن عمرو ﷺ، قال: حفظت من رسول الله ﷺ حديثًا لم أنْسه بعد. سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**. . . إن أوّل الآيات خروجًا، طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى. وأيهما كانت قبل صاحبتها، فالأخرى على أثرها قريبًا**»[(٣)].

---

(١) سبق تخريجه ص ٣٧.

(٢) انظر: ص ٣٧.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في خروج الدجال.. ٤/ ٢٢٦٠.

وخروج هذه الدابة لا مرية فيه فهو ثابت بالكتاب والسنة، أما الكتاب فقول الله عز وجل: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [النَّمل: ٨٢].

أما الأحاديث فهي كثيرة سبق منها حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما، وغيره، ومنها حديث حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال: اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر. فقال: (ما تذاكرون) قالوا: نذكر الساعة. قال: «**إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات**» وذكر منهن الدابة[(١)]. وفي المسند من حديث أبي أمامة رضي الله عنه يرفعه إلى النبي ﷺ قال: «**تخرج الدابة فتسم الناس على خراطيمهم[(٢)] ثم يعمّرون فيكم حتى يشتري الرجل البعير فيقول ممن اشتريته فيقول اشتريته من أحد المخطمين**»[(٣)].

ولم يرد في السنة النبوية الصحيحة ما يحدد أوصاف هذه الدابة، ولا مكان خروجها ولا كيفية خروجها[(٤)] ولذلك نكل

---

(١) سبق تخريجه ص ٣٤-٣٥.

(٢) الخرطوم: مقدم الأنف والفم. انظر لسان العرب ٢/ ١٢٠٣.

(٣) مسند الإمام أحمد ٥/ ٢٨٦، والتاريخ الكبير للبخاري ٦/ ١٧٢، ومسند الجعدِ، لعلي بن الجعد الجوهري ٢/ ١٠٤٥، ١٠٤٦، وذكر أخبار أصبهان لأبي نعيم الأصبهاني ٢/ ١٢٤. قال الهيثمي: رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح غير عمر بن عبدالرحمن بن عطية وهو ثقة. مجمع الزوائد ٨/ ٦. وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ١/ ٥٧٦.

(٤) انظر محاسن التأويل ٨/ ٨٦، وصحيح أشراط الساعة ٣٠٣.

علم وصف هذه الدابة وكيفياتها إلى عالم السر سبحانه وتعالى، ولعل في إبهامها زيادة تفخيم لها وتخويف منها[١]، ووردت بعض الأقوال في صفة ومخرج الدابة قال عنها ابن كثير رحمه الله: فهذه أقوال متعارضة، فالله أعلم[٢]. أما ما ورد من الأقوال عن ماهية هذه الدابة فمنهم من قال: هذه الدابة هي الجساسة، روي هذا القول عن ابن عمرو، وجزم به البيضاوي وغيره[٣].

ومنهم من قال: إن هذه الدابة هي الثعبان الذي كان في بئر الكعبة فاختطفته العقاب حين أرادت قريش بناء البيت الحرام. روي هذا القول عن ابن عباس رضي الله عنهما[٤].

ومنهم: من أبعد وزعم أن الدابة كناية عن الأشرار الذين هم في الجهل بمنزلة الدواب[٥].

ومنهم: من افترى وزعم أن هذه الدابة هي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه[٦].

ومنهم: من قال غير ذلك[٧].

---

(١) انظر فتح البيان في مقاصد القرآن ١٠/ ٧١.
(٢) البداية والنهاية ١٩/ ٢٥١.
(٣) انظر الإشاعة لأشراط الساعة ٣٥٨.
(٤) انظر لوامع الأنوار البهية ٢/ ١٤٩.
(٥) انظر مفردات ألفاظ القرآن ٣٠٦، ومحاسن التأويل ١٣/ ٨٧.
(٦) انظر مجمع البيان ٥/ ٢٥١. والمروي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في التفسير ٢/ ٦٦٣ . ٦٧٠.
(٧) انظر الجامع لأحكام القرآن ١٣/ ٢٣٦. وإتحاف الجماعة ٢/ ٣٠٥- ٣٣١.

وروي عن عبدالله بن عمر ﷺ أنه ذكر أن الدابة تخرج ليلة المزدلفة[١].

وروي عن ابن مسعود ﷺ أن الدابة تقتل إبليس الرجيم. قال الذهبي ﷺ وهذا الحديث شبه موضوع...[٢].

وبالعموم فخروج الدابة على شكل غير مألوف للناس ومخاطبتها إياهم ووسمها لأهل الإيمان ولأهل الكفر، كل ذلك خرج عن مجاري العادات[٣]، وهو آية من آيات الله حذرنا الله عز وجل ورسوله ﷺ إياها، وأمرنا بالمبادرة بالأعمال قبل خروجها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«...بادروا بالأعمال ستًا: الدجال، والدخان، ودابة الأرض، وطلوع الشمس من مغربها، وأمر العامة[٤]، وخويصه أحدكم»**[٥][٦].

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم. وعزاه ابن كثير لابن أبي حاتم، وقال: وفي إسناده ابن البيلمان ٦/ ٢٢٣.

(٢) انظر البداية والنهاية ١٩/ ٢١١- ٢١٤.

(٣) انظر البداية والنهاية ١٩/ ٢٥٤.

(٤) أمر العامة: يعني قيام الساعة. انظر: شرح صحيح مسلم للنووي ١٨/ ٨٧.

(٥) خويصة أحدكم: أي موته. انظر شرح صحيح مسلم للنووي ١٨/ ٨٧.

(٦) صحيح مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في بقية من أحاديث الدجال، ٤/ ٢٢٦٧.

المبحث السادس

الدخـــــان

الآيات التي أشير إليه فيها وهي:

١- قال تعالى: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [الدخان: ١٠-١١].

حول الآية:

لما ذكر الله عز وجل حال المشركين بجحودهم بدلائل الوحدانية وصدق الرسول ﷺ، وعكوفهم على اللعب والشك والاستهزاء بدعوة الإسلام[١]، أنذرهم يوم تأتي السماء بدخان مبين وعذاب أليم. وهو في الوقت نفسه وعد لرسوله ﷺ بانتقامه من المكذبين المعرضين.

قوله تعالى: ﴿فَٱرْتَقِبْ﴾ .الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها، لأن كونهم في شك ولعب يقتضي ما سوف يحصل بهم من العذاب الأليم[٢]، والارتقاب، معناه الانتظار، أي انتظر يا

---

(١) انظر قوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾﴾ [الدخان: ٧-٩]، وانظر تفسير التحرير والتنوير ٢٥/ ٢٨٥.

(٢) انظر: فتح القدير ٤/ ٥٧١.

محمد بهؤلاء الكفار يوم تأتي السماء بدخان مبين[١]. وقيل: معناه احفظ قولهم هذا لتشهد عليهم يوم تأتي السماء بدخان مبين، ولذلك سمي الحافظ: رقيبًا[٢]. وفعل (ارتقب) يقتضي بصريحه أن إتيان السماء بدخان لم يكن حاصلاً في نزول هذه الآية، ويقتضي كناية عن اقتراب وقوعه كما يُرتقب الجائي من مكان قريب[٣].

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ للعلماء أقوال في المقصود بهذا الدخان المبين الواضح الذي تأتي به السماء.

فمنهم من قال: الدخان المذكور في الآية هو آية من آيات الله، وعلامة من علامات قرب يوم القيامة، يصيب المؤمن منه كهيئة الزكام، وينفخ الكافر، وهو لم يأت بعد.

قال بهذا القول علي بن أبي طالب وابن عمر وابن عباس وأبو سعيد الخدري وأبو هريرة وغيرهم ﷺ أجمعين[٤].

لما أخرج مسلم في صحيحه من حديث حذيفة ﷺ قال: كان النبي ﷺ في غرفة ونحن أسفل منه، فاطلع إلينا فقال: (ما

---

(١) انظر تفسير الطبري ٢٥/ ١١١، والتفسير الكبير ٢٧/ ٢٤٢.
(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن ١٦/ ١٣٠، وفتح القدير ٤/ ٥٧١.
(٣) انظر تفسير التحرير والتنوير ٢٥/ ٢٨٥.
(٤) انظر تفسير الطبري ٢٥/ ١١٣، وزاد المسير ٧/ ٣٣٩، والتفسير الكبير ٢٧/ ٢٤٢، وتفسير القرآن العظيم ٦/ ٢٤٨. والمروي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في التفسير للفاضل ٢/ ٧٤٦ . ٧٤٩.

تذكرون)؟ قلنا: الساعة. قال: (إن الساعة لا تكون حتى تكون عشر آيات: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف في جزيرة العرب، والدخان، والدجال، ودابة الأرض، ويأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها، ونار تخرج من قعرة عدن ترحل الناس)[١].

وانتصر ابن كثير في تفسيره، والفخر الرازي في التفسير الكبير وغيرهما لهذا القول، وردا على من اختار غيره[٢].

قال الفخر الرازي في الدخان: إنه دخان يظهر في العالم، وهو إحدى علامات القيامة، قالوا فإذا حصلت هذه الحالة حصل لأهل الإيمان منه حالة تشبه الزكام، وحصل لأهل الكفر حالة يصير لأجلها رأسه كرأس الحنيذ، وهذا القول هو المنقول عن علي بن أبي طالب ﷺ، وهو قول مشهور لابن عباس واحتج القائلون بهذا القول بوجوه[٣]: الأول: أن قوله: ﴿يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ﴾ يقتضي وجود دخان تأتي به السماء، وما ذكرتموه من الظلمة الحاصلة في العين بسبب شدة الجوع فذاك ليس بدخان أتت به السماء، فكان حمل لفظ الآية على هذا الوجه عدولاً عن الظاهر، لا لدليل منفصل، وإنه لا يجوز.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة ٤/ ٢٢٢٥ .

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ٦/ ٢٤٨، والتفسير الكبير ٢٧/ ٢٤٢.

(٣) هذا ردهم على قول ابن مسعود ﷺ الآتي.

الثاني: أنه وصف ذلك الدخان بكونه مبينًا، والحالة التي ذكرتموها ليست كذلك، لأنها عارضة تعرضت لبعض الناس في أدمغتهم، ومثل هذا لا يوصف بكونها دخانًا مبينًا.

الثالث: أنه وصف ذلك الدخان بأنه يغشى الناس. . .[(١)].

- ومنهم من ذهب إلى أن الدخان المذكور في الآية هو ما حصل لكفار قريش من المجاعة بعد دعاء الرسول ﷺ، فأصبح يصيب أبصارهم من شدة الجوع من الظلمة كهيئة الدخان. ذهب إلى هذا القول ابن مسعود رضي الله عنه وغيره[(٢)].

فعن مسروق رحمه الله قال: دخلت على عبدالله رضي الله عنه - أي ابن مسعود - فقال: إن من العلم أن تقول لما لا تعلم: الله أعلم. إن الله قال لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [ص: ٨٦]، إن قريشًا لما غلبوا النبي ﷺ، واستعصوا عليه قال: اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف فأخذتهم سنة أكلوا فيها العظام والميتة من الجهد، حتى جعل أحدُهم يرى ما بينه وبين السماء كهيئة الدخان من الجوع ﴿رَبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا

---

(١) التفسير الكبير ٢٧/ ٢٤٢.

(٢) تفسير الطبري ٢٥/ ١١٣، وزاد المسير ٧/ ٣٤١، وفتح الباري ٨/ ٥٧١، ومرويات ابن مسعود ٢/ ٥٤٧، والمروي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في التفسير ٢/ ٧٤٨. وروي عن ابن مسعود أنهما دخانان، أحدهما مضى، والآخر بقي، وهو ما يكون من أشراط الساعة، انظر التذكرة للقرطبي ٧٤١.

﴿مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الدخان: ١٢] فقيل له: إن كشفنا عنهم عادوا، فدعا ربه، فكشف عنهم فعادوا، فانتقم الله منهم يوم بدر، فذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُوا ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الدخان: ١٠-١٦][(١)].

وانتصر لهذا القول الإمام الطبري في تفسيره والشوكاني في فتح القدير وغيرهما[(٢)]، قال الشوكاني رحمه الله: وقد عرفناك أنه لا منافاة بين كون هذه الآية نازلة في الدخان الذي كان يتراءى لقريش من الجوع، وبين كون الدخان من آيات الساعة وعلاماتها وأشراطها، فقد وردت أحاديث صحاح وحسان وضعاف بذلك، وليس فيها أنه سبب نزول الآية، فلا حاجة بنا إلى التطويل بذكرها، والواجب التمسك بما ثبت في الصحيحين وغيرهما أن دخان قريش عند الجهد والجوع هو سبب النزول، وبهذا تعرف اندفاع ترجيح من رجح أنه الدخان الذي هو من أشراط الساعة كابن كثير في تفسيره وغيره، . . .[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب: (ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون). انظر فتح الباري ٨/ ٥٧٢. ومسلم في صحيحه، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب الدخان، ٤/ ٢١٥٥.

(٢) انظر تفسير الطبري ٢٥/ ١١٣، وفتح القدير ٤/ ٥٧٢، ٥٧٣.

(٣) فتح القدير ٤/ ٥٧٢، ٥٧٣.

- ومنهم من ذهب إلى أن الدخان المذكور في الآية ما حصل يوم فتح مكة لما حجبت السماء بالغبار من سنابك الخيل. قاله عبدالرحمن الأعرج[١]، واستدلوا على ذلك بقول أبي هريرة ﷺ قال: كان يوم فتح مكة دخان، وهو قول الله: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾﴾[٢]. قال ابن كثير: وهذا القول غريب جدًا، بل منكر[٣].

والأقرب - والله أعلم - أن كلا القولين الأولين[٤] يمكن أن يكونا هما المقصودين بالدخان المذكور في الآية، لأن الآيات ببليغ إيجازها تحتمل القولين، وبهما قال الصحب الكرام عليهم من الله عز وجل الرضوان.

قال أبو الخطاب ابن دحية: والذي يقتضيه النظر الصحيح حمل ذلك على قضيتين: إحداهما وقعت، وكانت الأخرى ستقع وستكون، فأما التي كانت فالتي كانوا يرون فيها كهيئة دخان،

---

(١) انظر: النكت والعيون ٥/ ٢٤٧، وزاد المسير ٧/ ٣٤١. وعبدالرحمن الأعرج هو ابن هرمز، يكنى أبا داود، روى عن أبي هريرة ﷺ وغيره. انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ٥/ ٢٨٣.

(٢) انظر الدر المنثور للسيوطي وعزاه لابن سعد ٧/ ٤٠٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٧/ ٢٣٣.

(٤) وهما من قال إن الدخان مايكون من أشراط الساعة، والقول الآخر أنه مما حصل لكفار قريش من الجوع، أما القول الثالث هو ما حصل يوم فتح مكه فلم أرَ من قال به من الصحابة، ولم تثبت صحة الرواية به. انظر فتح القدير ٤/ ٥٧٣.

وهي الدخان غير الدخان الحقيقي الذي يكون عند ظهور الآيات التي هي من الأشراط والعلامات، ولا يمتنع إذا ظهرت هذه العلامة أن يقولوا: ﴿رَبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ فيكشف عنهم ثم يعودون لقرب الساعة، . . .[1].

قال القاسمي رحمه الله: يظهر مما نقلناه عن السلف في هذه الآية من الأقوال الثلاثة، أن هذه الآية من الآي اللاتي أخذت من الصحب، عليهم الرضوان، اهتمامًا في معناها، وعناية في البحث عن المراد منها. حتى كان ابن مسعود مصرًا على وجه، وعلي وابن عباس وحذيفة على وجه آخر. على ما أسند عنهم من طرق. ولعمر الحق! إن هذه الآية لجديرة بزيادة العناية. وهكذا كل ما كان من معارك الأنظار للأئمة الكبار. وسبب الاختلاف هو إيجاز الأسلوب الكريم، وإيثاره من الألفاظ أرقها، وأوجزها. مما يصدق لبلاغته حقيقة تارة ومجازًا أخرى . . . - إلى أن قال: - إذا علمت ذلك، رأيت أن من فسر هذه الآية بالمجاعة التي حصلت لقريش، أمكنه تطبيق الآية عليها مجازًا في بعض مفرداتها وحقيقة في بقيتها وفي وقوع مصداقها في رأيه.

ومن فسرها بالدخان المنتظر، المروي من أشراط الساعة، وقف مع المروي، ورأى أنه تفسيرها، لأن الأصل التوافق والحمل على المعهود، لأنه الأقرب خطورًا والأسبق

(١) التذكرة للقرطبي ٧٤١.

حضورًا...[١].

قوله تعالى: ﴿يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ أي يحيط بهم ويعمّهم، واسم الإشارة (هذا) للدلالة على قرب وقوعه وتحققه، والمعنى: أنهم إذا غشيهم الدخان يقولون - أي الكفار - هذا عذاب أليم، وقيل: يجوز أن يكون قول: هذا عذاب أليم. إخبارًا منه عز وجل تهويلاً للأمر[٢].

٢- قال الله جل جلاله وتقدست أسماؤه: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأنعام: ١٥٨].

لما روى أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاث إذا خرجن لم ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل، أو كسبت في إيمانها خيرًا: طلوع الشمس من مغربها، والدخان، ودابة الأرض**»[٣].

سبق الكلام على هذه الآية عند ذكر الدجال.

---

(١) محاسن التأويل ١٤/ ٣٧١، ٣٧٢.

(٢) انظر تفسير ابن كثير ٧/ ٢٣٥، ٢٣٦، وروح المعاني للألوسي ٢٥/ ١١٩، وتفسير التحرير والتنوير ٢٥/ ٢٨٨.

(٣) سبق تخريجه عند الكلام عن الدجال ص٣٧.

الدخـان:

الدخان آية من آيات الله، وعلامة من علامات يوم القيامة وأشراطها قال تعالى: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [الدخان: ١٠-١١].

وفي صحيح مسلم عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**إن الساعة لا تكون حتى تكون عشر آيات: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف في جزيرة العرب، والدخان، والدجال، ودابة الأرض، ويأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها، ونار تخرج من قعرة عدن ترحل الناس**»[(١)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**بادروا بالأعمال ستًا: طلوع الشمس من مغربها، أو الدخان، أو الدجال، أو الدابة أو خاصة أحدكم أو أمر العامة**»[(٢)].

وفي المسند من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ مر بابن صياد - وفيه - قال النبي ﷺ: «**إني قد خبأت لك خبيئًا، وخبأ له، ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾﴾** فقال ابن صياد: هو الدخ...[(٣)]

---

(١) سبق تخريجه ص٣٥.

(٢) سبق تخريجه ص٧٣.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٢/ ١٤٨.
والبخاري في صحيحه، كتاب الجهاد، باب كيف يعرض الإسلام على الصبي، فتح الباري ٦/ ١٧١، ١٧٢.

ونقل السفاريني رحمه الله عن بعض الصحابة والتابعين رضي الله عنهم قالوا عن الدخان: هو دخان قبل قيام الساعة يدخل في أسماع الكفار والمنافقين، ويعتري المؤمن كهيئة الزكام، وتكون الأرض كلها كبيت أوقد فيه، ولم يأت بعد وهو آت(١).

وأخرج ابن جرير رحمه الله عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أول الآيات الدجال، ونزول عيسى ابن مريم، ونار تخرج من قعر عدْن أبين تسوق الناس إلى المحشر تقيل معهم إذا قالوا، والدخان، قال حذيفة: يا رسول الله وما الدخان؟ فتلا رسول الله ﷺ الآية:** ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝١٠ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١١﴾ يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث أربعين يومًا وليلة، أما المؤمن فيصيبه منه كهيئة الزكام، وأما الكافر فيكون بمنزلة السكران يخرج من منخريه وأذنيه ودبره»(٢).

= ومسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر ابن صياد ٤/ ٢٢٤٠. قال النووي: والصحيح المشهور أنه ﷺ أضمر له آية الدخان، وهي قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ قال القاضي، قال الداودي: وقيل كانت سورة الدخان مكتوبة في يده ﷺ، وقيل كتب الآية في يده. قال القاضي: وأصح الأقوال أنه لم يهتد من الآية التي أضمر النبي ﷺ إلا لهذا اللفظ الناقص... صحيح مسلم بشرح النووي ١٨/ ٤٩.

(١) انظر لوامع الأنوار البهية ٢/ ١٢٩.

(٢) تفسير الطبري ٢٥/ ١١٤، ولم يصححه الطبري. انظر تفسيره ٢/ ١١٤. قال ابن كثير: وقد أجاد ابن جرير في هذا الحديث ها هنا، فإنه موضوع بهذا السند. تفسير القرآن العظيم ٧/ ٢٣٤.

وعن أبي مالك الأشعري ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن ربكم أنذركم ثلاثًا: الدخان يأخذ المؤمن كالزكمة، ويأخذ الكافر ينتفخ حتى يخرج من كل مسمع منه، والثانية: الدابة، والثالثة: الدجال»**[1].

(١) تفسير الطبري ٢٥/ ١١٤، قال ابن كثير: ورواه الطبراني عن هاشم بن يزيد عن محمد بن إسماعيل بن عياش، به. وهذا إسناد جيد. تفسير القرآن العظيم ٧/ ٢٣٥. وقال ابن حجر بعد أن ساق حديث حذيفة وأبي مالك وغيرهما ﷺ، وذكر ضعفها قال: لكن تظافر هذه الأحاديث يدل على أن لذلك أصلاً... فتح الباري ٨/ ٥٧٣.

المبحث السابع

النار التي تسوق الناس إلى أرض المحشر

الآيات التي أشير إليها فيها :

١- قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾ [الحشر: ٢].

قال قتادة رحمه الله: تجيء نار من مشرق الأرض تحشر الناس إلى مغاربها، فتبيت معهم حيث باتوا، وتقيل معهم حيث قالوا، وتأكل من تخلف[١].

وساق الإمام عبدالرزاق والإمام الطبري في تفسيرهما هذه الرواية عن قتادة رحمه الله عند قوله تعالى: ﴿لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾ والظاهر أن هذا القول عن قتادة لبيان الحشر الآخر، كأن قائلاً يقول الحشر الأول ذكر في الآية، فهل هناك حشر آخر؟ فذكر قتادة رحمه الله الحشر الآخر في الدنيا وهو حشر النار. ولا خلاف بين العلماء أن الحشر الأول المذكور في الآية هو ما حصل ليهود بني النضير من الجلاء إلى الشام.

قال ابن حجر رحمه الله: وقد أورد ابن إسحاق تفسيرها لما ذكر هذه الغزوة، واتفق أهل العلم على أنها نزلت في هذه

---

(١) تفسير القرآن لعبد الرزاق ٢/ ٢٨٢، وتفسير الطبري ٢٨/ ٢٩.

القصة. . .[١].

وعن عروة بن الزبير رحمه الله قال: ثم كانت غزوة بني النضير، وهم طائفة من اليهود، على رأس ستة أشهر من وقعة بدر[٢]، وكانت منازلهم ونخلهم بناحية من المدينة، فحاصرهم رسول الله ﷺ، حتى نزلوا على الجلاء، وعلى أن لهم ما أقلت الإبل من الأمتعة والأموال إلا الحلقة - يعني السلاح - فأنزل الله فيهم: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾﴾ [الحشر: ١-٢]، فقاتلهم النبي ﷺ حتى صالحهم على الجلاء، فأجلاهم إلى الشام، فكانوا من سبط[٣] لم يصبهم جلاء فيما خلا، - إلى أن قال: - فكان جلاؤهم ذلك أول حشر في الدنيا إلى الشام[٤].

---

(١) فتح الباري ٧/ ٣٣٠، وانظر السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ١٠٨، والسيرة النبوية، وأخبار الخلفاء لابن حبان ٢٣٤.

(٢) عند أهل المغازي والسير أنها وقعت بعد غزوة أحد في السنة الرابعة من الهجرة. انظر السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية لمهدي رزق الله ٤٢١، ٤٢٢.

(٣) السبط: ولد الولد، وأسباط اليهود، قبائلهم كل قبيلة من نسل رجل. انظر مفردات ألفاظ القرآن ٣٩٤.

(٤) المصنف للإمام عبدالرزاق ٥/ ٣٧٥، ٣٥٨.

النار التي تسوق الناس إلى أرض المحشر

ثبت في أحاديث صحيحة أن من أشراط الساعة بل آخر هذه الأشراط[١] نار حقيقية تسوق من بقي من الناس يومئذ إلى أرض محشرهم وهي الشام[٢].

ففي حديث حُذيفة بن أسيد الغفاري ﷺ، قال: اطّلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر - وفيه - (آخر ذلك نار تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم). وفي رواية: (ونار تخرج من قُعرة عدن ترحل الناس)[٣]. وعن ابن عمر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول تخرج نار من حضرموت أو بحضرموت،

---

(١) في صحيح البخاري عن عبدالله بن سلام ﷺ أنه سأل النبي ﷺ عن أول أشراط الساعة؟ فقال: «**أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب**» وقد جمع بعض العلماء بين هذا الحديث والأحاديث التي تثبت أن النار هذه هي آخر أشراط الساعة فقال السفاريني: وقد جمع بعض العلماء بينهما، بأن آخرية خروج النار باعتبار ما ذكر معها من الآيات، وأوليتها بأنها من أول الآيات التي لا شيء بعدها من أمور الدنيا أصلاً بل يقع بانتهائها النفخ في الصور، بخلاف ما ذكر معها فإنه يبقى بعد كل آية منها أشياء من أمور الدنيا. انظر صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء باب خلق آدم وذريته. فتح الباري ٦/ ٣٦٢. ولومع الأنوار البهية ٢/ ١٥٠.

(٢) قال ابن حجر ﷺ: وفي تفسير ابن عيينة عن ابن عباس: من شك أن المحشر ههنا. يعني الشام. فليقرأ أول سورة الحشر... فتح الباري ١١/ ٣٨٠. وانظر إتحاف الجماعة ٢/ ٣٦٠.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة ٤/ ٢٢٢٥.

فتسوق الناس، قلنا: يا رسول الله ما تأمرنا؟ قال: عليكم بالشام[١].

وهذه النار تخرج من اليمن من جهة منها يقال لها حضرموت وحضرموت معروفة اليوم من مكان قعرة عدن[٢].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: فهذه السياقات تدل على أن هذا الحشر هو حشر الموجودين في آخر الدنيا من أقطار الأرض إلى محلة المحشر، وهي أرض الشام، وأنهم يكونون على أصناف ثلاثة، فقسم طاعمين كاسين راكبين، وقسم يمشون تارة ويركبون أخرى، وهم يعتقبون على البعير الواحد، كما تقدم في الصحيحين: (اثنان على بعير، وثلاثة على بعير) إلى أن قال: (وعشرة على بعير). يعتقبونه من قلة الظهر، كما تقدم[٣]، وكما جاء مفسرًا في الحديث الآخر: (وتحشر بقيتهم النار). وهي التي

---

(١) مسند الإمام أحمد ٢/٨، وسنن الترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء لا تقوم الساعة، حتى تخرج نار من قبل الحجاز. قال الترمذي: وهذا حديث حسن غريب صحيح ٤٠/٤٩٨، وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر في تحقيق المسند ٦/٢٤٦.

(٢) عدن سميت بذلك من قولهم عدن بالمكان إذا أقام به، وهي مدينة على ساحل بحر العرب تكثر فيها التجارة لموقعها، ويقال لها عدن أبين للتفريق بينها وبين عدن لاعة من قرى اليمن.

(٣) انظر حديث أبي هريرة مرفوعًا عند البخاري في كتاب الرقاق، باب الحشر، فتح الباري ١١/٣٧٧، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدنيا، وبيان الحشر يوم القيامة صحيح مسلم ٤/٢١٩٤، وانظر حديث أبي ذر رضي الله عنه مرفوعًا عند الإمام أحمد في مسنده ٥/١٦٤.

تخرج من قعر عدن، فتحيط بالناس من ورائهم، تسوقهم من كل جانب إلى أرض المحشر، ومن تخلف منهم أكلته. وهذا كله ما يدل على أن هذا إنما يكون في آخر الزمان آخر الدنيا، حيث يكون الأكل والشرب والركوب والمشترى وغيره، وحيث تهلك المتخلفين منهم النار، ولو كان هذا بعد نفخة البعث لم يبق موت، ولا ظهر يشترى، ولا أكل ولا شرب...[١].

وذكر القرطبي رحمه الله، أن الحشر على أربعة أوجه، حشران في الدنيا وحشران في الآخرة. فحشر الدنيا الأول: هو حشر بني النضير من اليهود إلى الشام كما في سورة الحشر. والحشر الثاني في الدنيا: حشر النار للناس في آخر أيام الدنيا وقبل قيام الساعة، وهو المقصود في هذا المبحث.

والحشر الثالث في الآخرة، وهو حشر الأموات من قبورهم بعد البعث إلى الموقف.

والحشر الرابع في الآخرة، وهو حشر الناس إلى الجنة أو النار[٢].

والفرق واضح بين هذه النار التي تخرج من اليمن في آخر الزمان وهي من علامات الساعة الكبرى، وبين النار التي تخرج من الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى[٣] كما روى أبو هريرة

---

(١) البداية والنهاية ١٩/ ٣٣٢.

(٢) انظر التذكرة ٢٢٥- ٢٢٩، وانظر فتح الباري ١١/ ٣٧٩.

(٣) بُصْرَى: بضم أوله، وإسكان ثانيه، وفتح الراء المهملة، مدينة بالشام من أعمال دمشق. انظر: معجم البلدان ١/ ٤٤١، ومعجم ما استعجم ١/ ٢٥٣.

ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تُضيء أعناق الإبل ببُصرى)[١] وهذه النار التي تضيء أعناق الإبل، ذكر القرطبي وابن كثير والذهبي، رحمهم الله أنها ما حدث من جراء البركان الذي وقع بالمدينة سنة أربع وخمسين وستمائة[٢].

قال الحافظ الذهبي رحمه الله: فيها[٣] كان ظهور النار بظاهر المدينة النبوية. وكان آية من آيات ربنا الكبرى، لم يكن لها حر على عظمها وشدّة ضوئها. وهي التي أضاءت لها أعناق الإبل ببُصرى، وبقيت أيامًا، وظن أهل المدينة أنها القيامة، وضجّوا إلى الله بالدعاء، وتواتر أمر هذه الآية[٤]. وقال الحافظ القرطبي رحمه الله: أما النار التي تخرج من أرض الحجاز فقد خرجت على ما تقدم القول فيها، وبقيت النار التي تسوق الناس إلى المحشر، وهي التي تخرج من اليمن[٥].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الفتن، باب خروج النار. فتح الباري ١٣/ ٧٨. ومسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من الحجاز. صحيح مسلم ٤/ ٢٢٢٧ .

(٢) انظر العبر ٣/ ٢٧١، والبداية والنهاية ١٧/ ٣٢٨- ٣٤٢، وفتح الباري ١٣/ ٧٩.

(٣) أي في سنة أربع وخمسين وستمائة.

(٤) العبر ٣/ ٢٧١.

(٥) التذكرة ٧٤٢، وانظر فتح الباري ١٣/ ٧٩، قال ابن حجر رحمه الله: والذي ظهر لي أن النار المذكورة في حديث الباب هي التي ظهرت بنواحي المدينة كما فهمه القرطبي وغيره، وأما النار التي تحشر الناس فنار أخرى. فتح الباري ١٣/ ٧٩.

الخاتمة

بعد هذه الجولة المباركة في آيات القرآن الكريم، يجدر بي أن أبرز أهم النتائج التي ألفتُ الأنظار إليها وهي:

١- أن الفتن وأشراط الساعة من المسائل التي كثرت فيها الأحاديث الضعيفة والموضوعة، وكثر فيها النقل عن الإسرائيليات، فينبغي للكاتب والمتحدث في هذه الجوانب أن يتثبت في نقله، ويميز بين الحديث المقبول والحديث المردود وأن لا يتسرع في تنزيل ما صح على حوادث بعينها وأشخاص بأعيانهم، فهذا التنزيل حكم وينبغي للحاكم التثبت في حكمه.

٢- أن الإيمان بما صح من أحاديث الفتن وأشراط الساعة واجب ولو كانت أحاديث آحاد. قال الشيخ حمود التويجري رَحِمَهُ اللَّهُ: وليس التواتر في الأخبار عن المغيبات شرطًا لوجوب الإيمان بها كما قد زعم ذلك بعض أهل البدع ومن تبعهم من المتفقهة المقلدين وغيره من جهلة العصريين وزنادقتهم.

بل كل ما صح سنده إلى النبي ﷺ فالإيمان به واجب سواء كان متواترًا أو آحادًا وهذا قول أهل السنة

والجماعة. . .[١].

٣- لا حجة لأحد بالقعود والكسل عن عمارة الأرض والدعوة للرب عز وجل ولو ظهرت أشراط الساعة بل عمل المسلم مستمر وسعيه في الحياة متصل حتى تقوم الساعة ويأذن الله بفناء الأحياء والقيام بعد ذلك للحساب والجزاء.

٤- وقت قيام الساعة مما استأثر الله عز وجل بعلمه حيث يقول سبحانه: ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٦٣]، وإنما الساعة تأتي بغتة على الناس كما قال جل في علاه: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزخرف: ٦٦].

٥- قد نبأنا الله جل جلاله عن أشراط وعلامات تدل على قرب الساعة منها أشراط صغرى تتقدم قيام الساعة بأزمان بعيدة، ومنها أشراط كبرى وهي التي تقارب قيام الساعة، وتكون في ذاتها غير معتادة الوقوع .

٦- حديث حذيفة بن أسيد الغفاري ﷺ عند الإمام مسلم في صحيحه نص على أشراط الساعة الكبرى وفيه: (إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات، فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم ﷺ ويأجوج ومأجوج. وثلاث خسوف: خسف بالمشرق،

(١) اتحاف الجماعة ١/ ٥.

وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم).

٧- الأقرب - والله أعلم - أن ترتيب هذه الأشراط هو كالتالي: خروج الدجال، ثم نزول عيسى بن مريم عليهما السلام، ثم خروج يأجوج ومأجوج، ثم طلوع الشمس من مغربها، ثم الدابة، ثم الدخان، وآخر الأشراط النار التي تحشر الناس، والخسوف الثلاثة لم يظهر لي مكانها في هذا الترتيب والعلم عند الله عز وجل.

٨- العواصم من الدجال كثيرة منها:

١- الاستعاذة من فتنته.

٢- حفظ عشر آيات من أول أو آخر سورة الكهف .

٣- سكنى المدينة ومكة .

٤- الابتعاد عنه حال خروجه .

٥- من أدركه الدجال فليأت النهر الذي يراه نارًا .

٦- التحذير منه .

٧- المبادرة بالأعمال قبل خروجه.

٩- من خصائص المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام أن الله خلقه من غير أب، ومنها أن الله عز وجل أنطقه بكلام صحيح وهو في المهد، ومنها حفظ الله تبارك وتعالى له من الشيطان حين الولادة، ومنها إحياء الموتى بإذن الله تعالى وإبراء

الأكمه والأبرص بإذن الله تعالى، ومن خصائص نبي الله عيسى عليه السلام أن الله جل في علاه رفعه حيًا إلى السماء، وأنه ينزل في آخر الزمان، ونزوله دليل على قرب الساعة.

١٠- بطلوع الشمس من مغربها لا تقبل توبة تائب ولا زيادة عمل عامل لم يكن عمل بها من قبل.

١١- النار التي تحشر الناس إلى محشرهم هي غير النار التي تضيء لها أعناق الإبل ببصرى، فالأولى لم تأت بعد، والأخرى ظهرت وانقضت. وهي من أشراط الساعة الكبرى.

المراجع

١- إبطال التأويلات لأخبار الصفات، الفراء لأبي يعلى محمد بن الحسين الفراء، تحقيق محمد بن حمد الحمود، دار الإمام الذهبي، ط١، ١٤١٠هـ.
٢- الاتجاه العقلاني لدى المفكرين الإسلاميين المعاصرين، لسعيد بن عيضة الزهراني، بحث لنيل درجة الدكتوراه.
٣- إتحاف الجماعة، بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة، لحمود التويجري، ط١ .
٤- الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان، ترتيب علي بن بلبان الفارسي، قدم له كمال يوسف الحوت، الكتب العلمية ببيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.
٥- الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة، لمحمد صديق حسن القنوجي، كتب حواشيه إبراهيم يحيى أحمد، دار المدني بجدة، ١٤٠٦هـ.
٦- الإشاعة لأشراط الساعة، لمحمد بن رسول البرزنجي الحسيني، تعليق محمد الكاندلوهي، دار المنهاج ببيروت، ط٣، ١٤٢١هـ.
٧- أشراط الساعة الكبرى، سعود بن حمد الصقري، (رسالة ماجستير)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية أصول الدين، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، ١٤٠٥هـ.
٨- أضواء البيان، تفسير القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين الشنقيطي، عالم الكتب ببيروت.
٩- أهوال القيامة وعلاماتها الكبرى، محمد بن أحمد السفاريني، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ.
١٠- البحر المحيط، في التفسير، لأبي حيان محمد بن يوسف، عناية عرفات حسونه، المكتبة التجارية بمكة المكرمة.

١١- البداية والنهاية، لابن كثير إسماعيل بن عمر، تحقيق د. عبدالله التركي، نشر دار هجر.
١٢- البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، لعبد الفتاح القاضي. مكتبة الدار المدنية، ط١، ١٤٠٤هـ.
١٣- بصائر ذوي التمييز، في لطائف الكتاب العزيز، لمحمد بن يعقوب الفيروز آبادي، المكتبة العلمية ببيروت.
١٤- تاريخ التراث العربي، لفؤاد سزكين، أشرف على طبعه إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية، عام ١٤٠٣هـ.
١٥- التبصرة في القراءت السبع، لمكي بن أبي طالب، تحقيق محمد غوث الندوي، الدار السلفية بالهند، ط٢، ١٤٠٢هـ.
١٦- تفسير التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية، ١٩٨٤م.
١٧- التذكر في أحوال الموتى وأمور الآخرة، لمحمد بن أحمد القرطبي، دار الريان للتراث بالقاهرة، ط١، ١٤٠٧هـ.
١٨- تذكرة الأريب في تفسير الغريب، لابن الجوزي، تحقيق: د. علي البواب، مكتبة المعارف بالرياض، ط١، ١٤٠٧هـ.
١٩- التاريخ الكبير، للبخاري، مؤسسة الكتب الثقافية ببيروت.
٢٠- ترتيب القاموس المحيط، الطاهر الزاوي، نشر الحلبي، ط٢.
٢١- التصريح بما تواتر في نزول المسيح، لمحمد شفيع، تحقيق عبدالفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب، ط٤، ١٤٠٢هـ.
٢٢- تفسير ابن أبي حاتم (تفسير القرآن العظيم)، لابن أبي حاتم الرازي، تحقيق د.أحمد الزهراني، مكتبة الدار بالمدينة، ط١، ١٤٠٨هـ.
٢٣- تفسير ابن عباس ومروياته من كتب السنة، د. عبدالعزيز الحميدي، نشر جامعة أم القرى، بمكة.
٢٤- تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، لمحمد بن جرير الطبري، تحقيق محمود محمد شاكر، دار المعارف بمصر، ط٢.
٢٥- تفسير القرآن العظيم لابن كثير، تحقيق عبدالعزيز غنيم، وآخرون،

نشر دار الشعب بالقاهرة.
٢٦- تفسير القرآن الكريم المسمى (بحر العلوم) لأبي الليث السمرقندي، تحقيق: د.عبدالرحيم أحمد، مطبعة الإرشاد ببغداد، ١٤٠٥هـ.
٢٧- تفسير القرآن، لعبد الرزاق بن همام، تحقيق: د. مصطفى مسلم، مكتبة الرشد بالرياض، ط١، ١٤١٠هـ.
٢٨- التفسير الكبير، للفخر الرازي، دار إحياء التراث العربي، ط٣.
٢٩- تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٣٠- تهذيب الصحاح، للزنجاني محمود بن أحمد، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، وأحمد عطار، دار المعارف بمصر.
٣١- تيسير الكريم الرحمن، في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن سعدي، تحقيق محمد زهري النجار، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية بالرياض، ١٤٠٤هـ.
٣٢- الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، السيوطي، دار الكتب العلمية ببيروت، ط١، ١٤١٠هـ.
٣٣- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي محمد بن أحمد، نشر دار إحياء التراث العربي ببيروت.
٣٤- حجة القراءات، لابن زنجلة، تحقيق سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة ببيروت، ط٣، ١٤٠٢هـ.
٣٥- الدر المنثور، في التفسير المأثور، لعبدالرحمن السيوطي، دار الفكر ببيروت، ط١، ١٤٠٣هـ.
٣٦- دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، لمحمد الأمين الشنقيطي، مكتبة ابن تيمية بالقاهرة.
٣٧- ذكر أخبار أصبهان، لأبي نعيم الإصبهاني، دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة.
٣٨- ذو القرنين القائد الفاتح والحاكم الصالح، لمحمد خير رمضان، دار القلم بدمشق، ط١، ١٤٠٦هـ.
٣٩- الأربعون في صفات رب العالمين، للذهبي محمد بن أحمد، مكتبة

العلوم والحكم بالمدينة، ط١، ١٤١٣هـ.
٤٠- روح المعاني، في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي، دار إحياء التراث العربي ببيروت.
٤١- زاد المسير في علم التفسير، لأبي الفرج ابن الجوزي، المكتب الإسلامي بدمشق، ط١، ١٣٨٤هـ.
٤٢- سلسلة الأحاديث الصحيحة، لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي بدمشق، ط٣، ١٤٠٣هـ.
٤٣- سلسلة الأحاديث الموضوعة، لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي بدمشق، ط٤، ١٤٠٣هـ.
٤٤- سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث، محمد علي السيد بحمص، ط١، ١٣٨٨هـ.
٤٥- سنن الترمذي (الجامع الصحيح) لمحمد بن عيسى الترمذي، تحقيق أحمد شاكر، دار إحياء التراث العربي.
٤٦- السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها، لأبي عمرو، تحقيق د. رضاء الله المباركفوري، دار العاصمة بالرياض، ط١، ١٤١٦هـ.
٤٧- سير أعلام النبلاء، للذهبي، تحقيق شعيب الأرنؤوط. مؤسسة الرسالة ببيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.
٤٨- السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، لمهدي رزق الله، مركز الملك فيصل، ط١، ١٤١٢هـ.
٤٩- السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، لابن حبان، مؤسسة الكتب الثقافية ببيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.
٥٠- السيرة النبوية، لابن هشام، دار الجيل ببيروت، ١٩٧٥م.
٥١- شرح العقيدة الواسطية، لمحمد خليل هراس، ١٤٠٧هـ.
٥٢- الشريعة، لمحمد بن الحسين الآجري، تحقيق محمد حامد الفقي، نشر حديث أكاديمي بباكستان، ط١، ١٤٠٣هـ.
٥٣- صحيح أشراط الساعة ووصف ليوم البعث وأهوال يوم القيامة،

مصطفى أبو النصر الشلبي، مكتبة السوادي، جدة، ط٢، ١٤٢٠هـ.
٥٤- صحيح الجامع الصغير، لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط٢، ١٣٩٩هـ.
٥٥- الصحيح المسند من أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة، مصطفى العدوي، دار الهجرة، الرياض، ط١، ١٤١٢هـ.
٥٦- صحيح سنن ابن ماجه، لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠٧هـ.
٥٧- صحيح سنن الترمذي، لمحمد ناصر الدين الأباني، المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠٨هـ.
٥٨- صحيح سنن النسائي، لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠٨هـ.
٥٩- صحيح مسلم، المسلم بن الحجاج، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، نشر رئاسة البحوث العلمية، ١٤٠٠هـ.
٦٠- صحيح مسلم بشرح النووي، نشر رئاسة البحوث العلمية بالرياض.
٦١- صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم، لعبد الرحمن الدوسري، مكتبة دار الأرقم بالكويت، ط١، ١٤٠١هـ.
٦٢- الطبقات الكبرى، لابن سعد، دار بيروت، ١٤٠٠هـ.
٦٣- علامات الساعة الصغرى والكبرى، ليلى مبروك، المختار الإسلامي.
٦٤- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، مكتبة الرياض الحديثة.
٦٥- فتح البيان في مقاصد القرآن، لصديق بن حسن، المكتبة العصرية ببيروت، ١٤١٢هـ.
٦٦- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، للشوكاني، دار المعرفة ببيروت.
٦٧- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، لعبدالرحمن بن حسن، تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط، دار البيان، ط١، ١٤٠٢هـ، دمشق.
٦٨- الفردوس بمأثور الخطاب، للديلمي، تحقيق السعيد بن بسيوني، دار

الكتب العلمية ببيروت، ط١، ١٤٠٦هـ.
٦٩- فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد، لفضل الله الجيلاني، المطبعة السلفية بالقاهرة، ١٣٨٨هـ.
٧٠- في ظلال القرآن، لسيد قطب، دار الشروق ببيروت، الطبعة الخامسة ١٣٩٧هـ.
٧١- الكامل في ضعفاء الرجال، لأبي أحمد بن عدي، دار الفكر ببيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.
٧٢- كتاب السبعة في القراءات، لابن مجاهد، تحقيق: د. شوقي ضيف، دار المعارف بالقاهرة، ط٢.
٧٣- كتاب العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق د. مهدي المخزومي، د.إبراهيم السامرائي، دار الرشيد ببغداد، ١٩٨٢م.
٧٤- الكشاف عن حقائق التنزيل، للزمخشري، دار المعرفة ببيروت.
٧٥- كشف المكنون في الرد على كتاب هرمجدون، مازن بن محمد السرساوي
٧٦- كنز العمال للمتقي الهندي، مؤسسة الرسالة ببيروت، ط٥، ١٤٠٥هـ.
٧٧- اللآلئ المصنوعة في الحاديث الموضوعة، للسيوطي، دار المعرفة ببيروت، ط٣، ١٤٠١هـ.
٧٨- لسان العرب، لابن منظور، تحقيق عبدالله علي الكبير، وآخرون، دار المعرفة بالقاهرة.
٧٩- لسان الميزان لابن حجر العسقلاني، مؤسسة الأعلمي ببيروت، ط٢، ١٣٩٠هـ.
٨٠- لمعة البيان في احداث آخر الزمان، وأشراط الساعة الصغرى والكبرى، لعلي علي محمد، دار الإسراء، عمان، ط١، ١٤١١هـ.
٨١- لوامع الأنوار البهية لمحمد بن أحمد السفاريني، مؤسسة الخافقين بدمشق، ط٢، ١٤٠٢هـ.
٨٢- مجمع البيان في تفسير القرآن، للطبرسي، دار مكتبة الحياة ببيروت.
٨٣- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لنور الدين الهيثمي، دار الكتاب العربي ببيرت، ط٣، ١٤٠٢هـ.

٨٤- مجموع أخبار آخر الزمان وأشراط الساعة، لعبد الله بن سليمان المشعلي، مطابع المنار بالقصيم، ط١، ١٤١١هـ.
٨٥- محاسن التأويل، للقاسمي، دار الفكر ببيروت، ط٢، ١٣٩٨هـ.
٨٦- المحرر الوجيز، في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية، تحقيق المجلس العلمي بفاس، ١٣٩٧هـ.
٨٧- مختار الصحاح، للرازي، المركز العربي للثقافة والعلوم ببيروت.
٨٨- المروي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في التفسير من سورة المائدة إلى سورة الناس، فهد الفاضل، رسالة ماجستير.
٨٩- المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري، دار الكتاب العربي، بيروت.
٩٠- مسند الجعد، لعلي بن الجعد، تحقيق عبدالمهدي بن عبدالقادر، مكتبة الفلاح بالكويت، ط١، ١٤٠٥هـ.
٩١- المسند، للإمام أحمد بن حنبل، دار صادر ببيروت.
٩٢- المسيح الدجال وأسرار الساعة، لمحمد بن أحمد السفاريني، دار الجيل ببيروت ومكتبة التراث الإسلامي بالقاهرة، ط٢، ١٤٠٧هـ.
٩٣- المسيح المنتظر ونهاية العالم، عبد الوهاب عبد السلام طويلة، دار السلام، القاهرة، ط١، ١٤١٩هـ.
٩٤- مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، للبوصيري، تحقيق موسى محمد، ود.عزت علي، دار الكتب الحديثة بالقاهرة.
٩٥- مصنف بن أبي شيبة لأبي بكر بن أبي شيبة، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، الدار السلفية بالهند.
٩٦- المصنف، لعبد الرزاق بن همام، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٣هـ.
٩٧- معالم التنزيل (تفسير البغوي)، للبغوي، تحقيق خالد العك، ومروان سوار، دار المعرفة ببيروت، ط١، ١٤٠٦هـ.
٩٨- معاني القرآن، للفراء، عالم الكتب ببيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ.
٩٩- معجم البلدان، لياقوت الحموي، دار صادر ببيروت، ١٤٠٤هـ.

١٠٠-المعجم الصغير، للطبراني، تحقيق حمدي السلفي، إحياء التراث الإسلامي بالعراق، ط١، ١٣٩٩هـ.
١٠١-المعجم الكبير، للطبراني، تحقيق حمدي السلفي، إحياء التراث الإسلامي بالعراق، ط١، ١٣٩٩هـ.
١٠٢-معجم ماستعجم للبكري، تحقيق مصطفى السقا، دار عالم الكتب ببيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ.
١٠٣-معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس، تحقيق عبدالسلام هارون، دار الكتب العلمية بإيران.
١٠٤-المعلم بفوائد مسلم، للمازري، تحقيق محمد الشاذلي، دار المغرب الإسلامي ببيروت، ط٢، ١٩٩٢م.
١٠٥-مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان عدنان، دار القلم بدمشق، ط١، ١٤١٢هـ.
١٠٦-المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات، للمغراوي، دار طيبة بالرياض، ط١، ١٤٠٥هـ.
١٠٧-منهاج السنة النبوية لابن تيمية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، ط١، ١٤٠٦هـ.
١٠٨-النكت والعيون، للماوردي، دار الكتب العلمية ببيروت، ط١، ١٤١٢هـ.
١٠٩-النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، تحقيق محمود الطناحي، المكتبة الإسلامية.
١١٠-هرمجدون آخر بيان يا أمة الإسلام، لمحمد جمال الدين، المكتبة التوقيفية بالقاهرة.
١١١-اليوم الآخر- القيامة الصغرى، لعمر بن سليمان الأشقر، دار النفائس، الأردن، ط٧، ١٤١٨هـ.

فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

تقديم الدكتور سعود الشريم ٥
المقدمة ٧
التمهيد ١٥
المبحث الأول: التعريف بأشراط الساعة ١٩
المبحث الثاني: بعض الكتب المؤلفة في أشراط الساعة ٢١
الفصل الأول: حول الساعة والأشراط الكبرى لها ٢٧
المبحث الأول: النصوص القرآنية القاطعة بوقوع الساعة ٢٧
١- بعض النصوص القرآنية الدالة على وقوع الساعة ٢٧
٢- بعض النصوص القرآنية الدالة على اختصاص
الله جل جلاله بعلم وقت الساعة ٢٨
٣- بعض النصوص القرآنية الدالة على مجيء الساعة بغتة ٢٩
المبحث الثاني: حول أشراط الساعة الكبرى ٣٢
١- أقسام أشراط الساعة من حيث الظهور ٣٢
٢- انواع أشراط الساعة ٣٣
الفصل الثاني: أشراط الساعة الكبرى من خلال
آيات القرآن ٣٧
المبحث الأول: الدجال ٣٧
الآيات التي أشير إليه فيها ٣٧
التعريف بالدجال ٤٤
صفة الدجال ٤٥
سبب خروجه ٤٩
مكثه في الأرض ٥١
قصة خروج الرجل المؤمن لملاقاة الدجال ٥٢
مقتل الدجال ومكان قتله ٥٤
ما يعصم من الدجال بإذن الله ٥٥
المبحث الثاني: نزول عيسى ابن مريم عليه السلام ٥٩
الآيات التي أشير إلى نزوله فيها ٥٩

- نزول المسيح عيسى ابن مريم عليهما السلام ٧٣
- سبب تسمية عيسى ابن مريم عليهما السلام بالمسيح ٧٤
- خصائص المسيح عيسى ابن مريم عليهما السلام ٧٤
صفات نبي الله عيسى عليه السلام الخلقية ٨٠
أ- جسمه ٨٠
ب-شعر رأسه ٨١
-نزوله عليه السلام في آخر الزمان ٨٢
بعض أعماله التي يقوم بها بعد نزوله ٨٤
نزول البركة والأمان في زمان عيسى عليه السلام ٨٧
موت عيسى عليه السلام ٩٠
المبحث الثالث: خروج يأجوج ومأجوج ٩٢
الآيات التي أشير إلى خروجهم فيها ٩٢
خروج يأجوج ومأجوج ١٠٠
بناء السد ١٠٣
خروج يأجوج ومأجوج ١٠٧
نهاية يأجوج ومأجوج ١٠٩
تحذير النبي ﷺ من فتنة يأجوج ومأجوج ١١٠
المبحث الرابع: طلوع الشمس من مغربها ١١٢
الآيات التي أشير إلى طلوعها من مغربها ١١٢
طلوع الشمس من مغربها ١١٨
المبحث الخامس: الدابة ١٢٢
الآيات التي أشير إليها فيها ١٢٢
الدابة ١٢٦
المبحث السادس: الدخان ١٣٠
الآيات التي أشير إليه فيها ١٣٠
الدخان ١٣٨
المبحث السابع: النار التي تسوق الناس إلى أرض المحشر ١٤١
الآيات التي أشير إليها فيها ١٤١
النار التي تسوق الناس إلى أرض المحشر ١٤٣
الخاتمة ١٤٧
المراجع ١٥١